السِّفر الأسنى

في

الرَّابطة الحسنى

تأليف

المرْشد المجدد حسن حلمي بن محمد القحيّ
الشاذلي النقشبندي القادري الأويسيّ
سامحه الله من فرطاته
(١٢٦٨ - ١٣٥٦ هـ)

دار الحكمة

السِّفر الأسنى في الرابطة الحسنى

المرشد المجدد حسن حلمي بن محمد القحي الشاذلي النقشبندي القادري الأويسي



تأليف

المرْشد المجدِّد حسَن حِلمي بن محمد القحيّ
الشاذلي النقشبنْدي القادريّ الأويسيّ
سَامحَه الله من فرَطاته
(١٢٦٨-١٣٥٦ هـ)

دار الحكمة



الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤م



داغستان - مَحَاچ قَلعَة

بســم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الشيخ حسن حلمي بن محمد الداغستانِي رحمه الله تعالى

« ١٢٦٨ - ١٣٥٦ هـ »

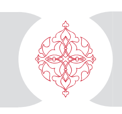
هو العلّامةُ الرَّبّاني قطبُ الإرشادِ ، وشيخُ مشايخنا حسن حلمي بنُ محمدِ بنِ حسين القَحِيُّ النَّقشبَنديُّ الخالديُّ الشّاذليُّ الدَّاغستانيُّ ، قَدس الله سرَّه وأفاض علينا من فيوضاتِه ، آمين .

مولدُه :

وُلدَ في قريةِ « قَحِبْ » من قُرى مِنْطقةِ شمويل لجمهوريّةِ داغستان ، سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وستّينَ ومائتَينِ وأَلفٍ « ٩ - ١٢٦٨هـ » .

نشأتُه :

وكانَ ابناً مسعوداً ، وطفلاً محموداً ، مباركاً ميموناً ، ذا أَحوالٍ حميدةٍ ، وشمائلَ جميلةٍ ، ذا عقلٍ وفطنةٍ قريحةٍ ، يَغبطُه كلُّ مَن رَآه ، ويُحبُّه كلُّ مَن لَاقَاه ، وكانَ ذا أَدب بلا تَأديبٍ ولا مؤدّبٍ ، وإنّ أباه الحاج محمد كانَ رجلاً فاضلاً ، وعالما تَقيّا عاملا ، وقد ماتَ وهو في المهدِ في سفرِ الحجّ في بلدةِ جِدّة وقتَ الإيابِ ، ودُفنَ فيها قربَ قبرِ أُمّنا وأُم بَني آدم حوّاء رضي الله عنها ، وصارَ رحمه الله تعالى يَتيما في تربيةِ الوالدةِ جَزاها الله تعالى خيراً التي رَبّتْه بأكمل تربيةٍ ، وتَرعرَعَ في نظرتِها الحسنةِ العفيفة .



تَلقّيه العلوم :

فلَمّا بَلَغَ سبعَ سنينَ ابتدأ بقراءةِ القرآنِ بنفسِه بلا داعٍ ولا موجّه إليها ، فبعدَ إتمامِ فرائضِها وتصحيحِها ابتَدأ بطلبِ العلمِ ، واختارَ للتَّدريسِ العالِمَ الورعَ المخلصَ والدَ صاحبتِه القاضي حسن بيك ، وكانَ يقرأُ الدَّرسَ معه صَبيحةَ كلِّ يوم ، ويَذهبُ إلى الفضاءِ راعيا للأنعام ، ويأخذُ الكتابَ معه ، ثمَّ إذا رَجعَ إلى البيتِ لا يَخرجُ مع أَقرانه إلى الأسواقِ ، ولا يضيعُ أوقاتَه بالتَّعطيلِ مع الصِّبيانِ ، وكان يكتب الدرس الذي يقرأ له في الصباح ، وكان له خطٌّ جسيم حسن جداً ، وكتب كلّ ما قرأه من الكتب بخطه .

وكانَ لا ينامُ إلّا قليلاً ، ويَسهَرُ اللَّيالي كثيراً ، وكانَ لا ينامُ تحتَ اللّحافِ واللّفافِ ، بل يَضطجعُ في حالةٍ يكونُ نصفُ جسدِه عارياً ؛ كي يسهلَ له القيامُ في السَّحرِ .

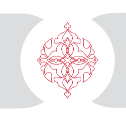
وإنّه أَيضاً طَلبَ العلمَ من العلماءِ الأَجلّةِ المخلصينَ ، فصارَ ماهراً حاذقاً ؛ بحيثُ يَعترفُ له فحولُ العلماءِ والعقلاءِ لذكاءِ فهمِه وعلمِه وعقلِه .

طريقُ سلوكِه :

ثمَّ بَدا له داعيةُ الدُّخولِ في سلكِ ساداتِ الصّوفيّةِ ، وانْبعثَ من باطنه شوقُ صحبةِ الأَولياءِ الكرامِ والمشايخِ العظامِ ؛ أَهلِ الطريقةِ المحمّديّةِ ذَوي الاحترامِ ، ففي يوم ذَهبَ لَدى واحدٍ من مريدِي الشّيخِ المرشد الحاج عبدِ الرَّحمن العَسَلي لتعليمِ الدَّرسِ ، فوَجَدَه يَذكرُ الله تعالى بالذِّكرِ الخفيِّ القلبيِّ ،

وقالَ له : إن شئتَ أَدلُّك إلى مَن يُرشدُك إلى هذه المرتبةِ ، فاشتاقَ بفضلِه تعالى إلى لقائِه وقَصدَ الترحّلَ إلى حضرتِه ، ففي تلك اللَّيلةِ استخارَ الله تعالى في حقِّ ذَهابِه لديه ، فبعدَ صبحِ ذلك اليومِ خَرَجَ باكراً زائراً إلى جنابِ حضرةِ الخليفةِ من ساداتِ الصُّوفيّةِ قطبِ الإرشادِ الحاج عبدِ الرَّحمن العَسلي ، ولَاقاه بالفرحِ والمباشرةِ ببَسطِ الوجهِ ، وقالَ الشّيخُ قُدّسَ سرُّه : لم أفرحْ في عمري أَزيدَ من هذا اليومِ ؛ لاطّلاعِه على أحوالِه الباطنيّةِ والظَّاهريّةِ ، إنّ الله يُعطي الحكمةَ مَن يشاءُ ، وما أَحسنَ وأَعجبَ فراسةَ الشّيخِ ؟ ! قد عَلِمَ من أَوّلِ رُؤيتِه قَدْرَه وجلالتَه ، وعَلّمَ الرَّابطةَ الشَّريفةَ والاستغفارَ والصّلاةَ علَى كيفيّةِ النَّقشبنديّينَ ، فبعدَ أيّامٍ قلائلَ ذَهبَ ثانياً لدى حضرةِ الشّيخِ ، ولَقّنَه الذِّكرَ القلبيَّ ، وكانَ المرشدُ العَسلي قُدّسَ سرُّه يُربّيه أَحسنَ تربيةٍ ويُلاطفُه .

فبعدَ مدّةٍ أَجازَه بالإجازةِ المطلقةِ في الطَّريقةِ النَّقشبنديَّةِ الصِّدّيقيّةِ في مجمعٍ للعلماءِ والعارفينَ من مريدِيه ، وأَظهرَ علوَّ مقامِه وكرامتَه في هذا المجلسِ مع كونِه علَى خَجلٍ ووَجلٍ ، وكانَ خائفاً كارهاً أمرَ الإرشادِ والخلافة ، لكونِه رَأى فيه عدمَ الأهليّةِ لذلك المنصبِ العظيمِ ، وكانَ يقولُ : فلولا أنّ أَمرَ الشَّيخِ من واجبِ الاقتداءِ لما أَجبتُه لذلك ، ولا قبلتُه ، بيدَ أنه لم يصحَّ ردّ ما أَلزمَه الشَّيخُ ، فقَبلَه علَى استحياءٍ شديدٍ ، فأَمضى من بعدِه زمناً مديداً نحوَ سبعِ سنينَ بإخفاءِ هذا التَّصدّرِ عن الناسِ ، وتَزهّدَ في ذلك الزمنِ ولم يَطلبْ من الدُّنيا إلا قدراً يسيراً ؛ بحيثُ يسدُّ الرّمق ، ونَهى النفسَ عن الهوى ، وانعزلَ عن الناسِ ولازمَ البيتَ ، وكانَ هو فقيراً ذا عيالٍ ، وعَلِمَ

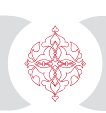


الشيخُ حقيقتَه ودَعاه لديه فقالَ : إني جَعلتُك خليفتِي وخليفةَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، وسلطانَ السّلاطين وأَميرَ الأمراءِ ، وأَعطيتُك الدُّنيا والآخرةَ ، فأَمرَ بالإرشادِ وأَكّدَ الأَمرَ به ، واسْتعفى كرَّاتٍ ومرّاتٍ وكانَ يردُّه ، وقالَ : يا أُستاذي لو رَددتَ عنّي هذا الأَمرَ العظيمَ لكنتُ في كهفٍ خالٍ عن الناسِ مع العيالِ بتركِ العقارِ والمنقولِ ، وأَكّدَ الأمرَ ثانياً ؛ بحيثُ لا يكون له بدٌّ لردّه ، وامْتثلَ أَمرَه ، وقَبِلَ ذلك المنصبَ العظيمَ ، فبعدَ ذلك ابتدأَ بإرشادِ الخلقِ ، وقَعدَ علَى سجادةِ الخلافةِ مستعيناً بالله العظيم ، ومستفيضاً من الرسولِ الكريمِ ، ومتوسِّلاً بالسّاداتِ الكرامِ ، أَهلِ الطَّريقةِ ذَوي الاحترامِ .

واشتهرَ أَمرُه ، وارْتحلَ إليه كلُّ مَن أَرادَ السلوكَ إلى سبيلِ الحقّ حتَّى من أَقصى البلادِ ، فبعدَ ذلك قد كَثرَ المريدونَ الوافدونَ ، وسَعى إليه الطَّالبون من كلِّ جانبٍ ، وجاؤُوا من القُرى البعيدةِ والبلادِ الشَّاسعةِ حتى صارَ الوافدونَ في كلِّ يوم جمّاً غفيراً ، واجتهدَ لهدايةِ مَن لاقَاه من الطَّالبينَ السّالكين وتربيتِه لله تعالى ولأجل رسولِه صلى الله عليه وسلم امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ .

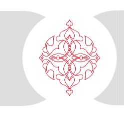
فبعدَ تَرصُّدِه علَى هذا المنصبِ العظيم ذَهبَ الشّيخُ الحاج عبدُ الرَّحمن العَسلي قُدّسَ سرُّه إلى الحجّ ، وفَوَّضَ أَمرَ الإرشادِ إليه ، ومات هو رحمه الله في جدة بعدَ تمامِ الحجِّ ، ودُفنَ فيها عندَ قبرِ حوّاء .

ثمَّ بعدَ انتقالِه إلى جوارِ ربِّ البريةِ ذَهبَ لدى الشّيخِ الحاج شعيب أَفندي الباكِني قُدّسَ سرُّه ، وقَبلَه بالتَّحيّةِ والإكرامِ ، وربّاه بأحسن تَربيةٍ ، فلقّنه مراقبة



« خفي » و « أخفى » وأَذنَ له بالإذنِ الصَّحيحِ ، وأَجازهُ بالإجازة المطلقةِ ، وكَتبَ له صكَّ الإجازةِ في الطَّريقة النَّقشبَنديَّةِ العليّةِ ، ثُمّ بعدَ انتقالِ الشّيخِ الباكني إلى جوارِ ربِّ العزّةِ ذَهبَ لدى حضرةِ القطبِ المستور مِير سيف الله النَّقشبَندي الشَّاذلي القادري الأُويسي الحسينيّ النژبكري الغازي الغُمُوقي قُدّسَ سرُّه العزيز ، وقَبلَه قبولا حسنا ، وصبَّ ذلك القطبُ الأَعظمُ والشّيخُ الأَكبرُ ما في صدرِه إلى صدرِ الشّيخِ حسن حلمي أَفندي ، وقالَ : صَببتُ ما في صدرِي إلى صدرِك ، وأَجازَ له في الطَّريقةِ الصدّيقيَّةِ العليّةِ ، والشَّاذليّةِ السنيّةِ ، والقادريّةِ الجليّةِ ، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحزاب المأثورة من أئمة الصوفية ، وفي « صحيح البخاري » و« مشكاة المصابيح » ، وفي « الحزب الأعظم والورد الأفخم » ، وفي « دلائل الخيرات » و« الطريق العالية من البردة الشريفة » ، والأحزاب المنسوبة إلى العارف الشاذلي ، و« حزب الإمام النووي » و« حزب الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، وسائر الفنون النقلية والعقلية ، وكتب الأحاديث الصحيحة المسلسلة ، وفي الطريقة العلية من طريق الحسن ؛ كما هو مذكور في الثبت ، وفي سائر العلوم والأحاديث ؛ حتى لكتابة التمائم والأسباب فيما لا يحصى عدُّه ، وأوصله إلى الدرجة العلية والمراقبات الأقربية ، وصار هو كائناً بائناً ، عرشياً فرشياً ، فانياً باقياً .

فبعدَ انتقالِ الشَّيخ الأَكبرِ سيف الله قُدّسَ سرُّه من هذه الفانيةِ إلى الدّارِ الأَبديّةِ الباقيةِ . . تَفرّدَ في ديارِ داغستانَ في المشيخةِ الصّادقةِ الصِّديقيّةِ ، وتَوحّدَ في الطَّريقةِ الشَّاذليّةِ الحسنيّةِ العليّةِ ، ولكن لم يُظهرِ الطَّريقةَ القادريّةَ



الجليّةَ ؛ لعدمِ وصولِ صكِّ الإجازةِ من الشّيخِ المذكورِ المرحومِ المغفور له وإن كانَ مجازاً فيها بالإجازةِ الصَّحيحةِ المطلقةِ ، وذلك لشدَّةِ إنصافه وصفائِه في الطَّريقةِ النَّبويّةِ ، وإنّ الوثيقةَ وصكَّ الإجازةِ ولُبسَ الخرقةِ ممّا جَرتْ به عاداتُ ساداتِ الصّوفيّةِ .

أَخلاقُه :

وكانَ يَتكلّمُ مع مَن جاء لديه بالمداراةِ ، ويُحسنُ أَخلاقَه ؛ بحيثُ يُوافقُ حالَه ومـآلَه ، وكان وَرِعاً لم يُرَ منه ما يُخالفُ الشَّريعةَ ولو أَدنى شيءٍ ، وكانَ ذا أَخلاقٍ حميدةٍ ومناقبَ سديدةٍ ، وطبع حليم وحياءٍ جسيم ، بارعاً حاذقاً في جميعِ العلوم نثراً ونظماً ، عربيّاً وعجميّاً ، وكانَ بسيطَ الوجهِ نشيطَ النّطقِ ، يُحبُّه كلُّ من رآه ، وقوراً حليماً ، سخيّاً جواداً ، مطابقاً مسمّاه باسمِه ، معرضاً عن حبِّ الدُّنيا وحبِّ الجاهِ .

وكانَ شديدَ المنَّةِ ، كثيرَ العفّةِ ، وكانَ يزجرُ الأَولادَ والأحبابَ عن قبولِ الهدايا والإحسانات ، ويقولُ لهم : إنّي أُريد أَن أَكونَ كالتّيسِ ولا أُريد أن أَكونَ كالمعزِ ، الإنسانُ عبدُ الإحسانِ .

ومن كراماته:

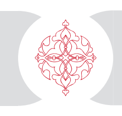
إقرار العلماء الأعلام . وكان علماء عصره راجعين على عتبة بابه ، داخلين في دائرة تربيته ، طالبين منه الإجازة للتدريس في العلوم الظاهرة كما هو مذكور في مصنّفاته ببيان أسمائهم ، وكان لا يخالف الشريعة الأحمدية .

ومن أعظم كراماته كونُه خليفةً ومأذوناً من السادات المذكورين قبلُ ، وإن القطب المستور السيد الأمير سيف الله النثربكري قدس سره قد أثنى له بالعبارات التي تدهش العقول بسماعها ، وتتحير الأفكار بتفكّرها ، وتنشق القلوب بقراءتها ، وأنه قدس سره كتب إليه مكاتيب عديدة بحيث لا تحصى بالنظم والنثر ؛ ثناءً عليه ، وقال :

يا حبيـبَ القلـبِ بالي فـي الخطوبِ	فـي أُمـورٍ ليـس لـي غيـرُ الصُّعـوبِ
يـا أَنِيـسَ الـروحِ مـا لـي مؤنـسٌ	غيـرُكَ المرجـوّ فـي خطـبِ الكروبِ
طيفُـك الميمـونُ فـي قَلبـي سَـرَى	سـيرك المحمـود عـلّامُ الغيـوبِ
أَنـتَ نعـمَ الخِـلُّ يـا نجـمَ الهـدى	أَنـت سـري أَنـتَ مفتـاحُ القلـوبِ
كيـف لا أنـت سـرورُ الفقـرَا	يـا وصـيَّ القطـبِ مفتـاح الشُّـعوبِ
عجبـاً كيـف أَتَـى تاريخُكـم	جـاء فيَّاضـاً لإحيـاءِ القلـوبِ
سـيفُك المفلـولُ سـاهٍ بالضّنـى	يا حبيـبَ القلـبِ بالي فـي الخطوبِ

مؤلَّفاتُه :

وأنه رحمه الله تعالى شيّد مصنّفاته بالمآخذ والنقول من الكتب المعتمدة المأثورة من أئمة الفقهاء والصوفية ، لكن لم يشر عليها بالمطالعة على الكتب ، بل بما فتح الله له من العلم اللدني .



وقد تَركَ مؤلَّفاتٍ عديدةً ، منها :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين بالعربية والعجمية منظوماً ومنثوراً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب بالعجمية منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

١٢ الأجوبة القحية لأسئلة الإهلي

١٣ زبدة فضائل صلاة الفاتح

١٤ تلخيص الكلام الحسن من مقالات حسن أفندى القحي

١٥ مختصر نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات



١٦ رسالة إلى العالم الفاضل محمد الحركلي

١٧ مجموعة فتاوى أهل التحقيق في مسألة جمع الثلاث من التطليق

١٨ الملتقطات القحية من رشحات عين الحياة

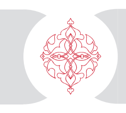
فبسبب تلكم المصنفات النفيسات اشتهرت طريقته في البلاد ، وتواترت أخباره بالإرشاد ، وتنوّر العالم بيُمْن توجُّهاته العلية وأحواله السنيّة ، وزالت ظلمات الجهل والبدع بظهور تأليفاته المستطابات بعد ما غشيت الأقطار والبلاد بالأهواء والمخترعات في الطرق المنيرات المصطفويات بزخارف المعاندين المنكرين المبتدعين المتشيّخين المارقين ، وببركة علومه وآثار أنوار معارفه قلّت البدعات وانهدمت المبطلات .

وفاته :

توفِّي رحمه الله سنة ست وخمسين وثلاث مائة وألف (١٣٥٦) للهجرة . (١٩٣٧) م .

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته .

والحمد لله رب العالمين .



سبب التأليف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب ولم يَذَرْ رَطْباً ولا يابساً ولا شيئاً ممّا كان ويكون إلاّ أدْخل فيه والصلاة والسلام على محمد الذي نزّل إليه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فيقول الفقير حسن القحيّ رحم الله إفلاسه . آمين

قد ورد إلينا كواغذ من طرف واحد من طلبة العلم الذي كان في سَالِفِ السنين في دائرة طريقتنا والحال أنّه ينصحنا وينصح سائر المسلمين بما عنده من العلم وإن كان ما يعلمه من جملة ما لا يفهمه وهو عند أرباب العلم اليقينيِّ من المشتبهات .

فكتب أوّلاً بأن زيارة قبور الصالحين ممّا لا يجوز والزوَّار مشركون وكتب له نقلاً ممّا قاله ابن القيم (تلميذ ابن تيمية) في « إغاثة اللهفان في بيان مصائد الشيطان » مع أن ذلك خلاف النقل والعقل . وأطبق علماء الأمة من المذاهب الأربعة على ردّ ذلك القول الظاهر الخطأ .

وأخذ أيضاً من ذلك القول أن رابطة أهل التصوف عين ما قاله من أنَّه مشرك بذلك وأيّد قوله أيضاً بما في « المجالس الإرشادية » بأنّ رابطة الصوفية خطأ . والحال أن مؤلّفه إنما قال ذلك لعدم علمه معنى الرابطة في اصطلاحهم ولو علم لما قال ذلك بل كان يقول بحسنها واستحبابها .

وكتب أيضاً على قول القطب عُبَيْد الله الأحرار في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[1] أن تفسيره تفسير بالرأي مع أن ذلك التفسير قد صرّحه غيره قدس سره .

وكتب أيضاً على قول قطب الأنام خالد البغدادي قدس سره وتفسيره لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ بأن الرابطة من أقرب الوسائل أن المراد منه ليس ذلك بل هي الطاعة والعبادة مع أنّ غيره من أصحاب التفسير عَمَّه والرابطة تدخل في العموم وقد جعل « الصاوي » تلك الآية حجَّة على من يمنع التوسل وزيارة أولياء الله ويَزْعُمُ أَنَّ زيارَتهم من عبادة غير الله .

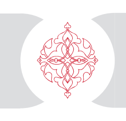
وكتب أيضاً بأن الاستدلال بأقوال العلماء عبث لا فائدة فيه .

وكتب أيضاً إنّي لا أقبل شيئاً ممّا لا دليل عليه من الكتاب والسنة وإن أطبق على استحسانها من على وجه الأرض .

وكتب أيضاً أني لا أتّخذ العلماء والمشائخ أرباباً أطيعهم في كل ما أمروا به وأَنْتَهِي عن كل ما نهوا عنه إلى آخر ما قاله من الكلام الذي لا يصدر من فم رجل له عقل سليم .

---

[1] بل الحضور المعنوي من منطوق لفظ (مع) في قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ إذ ثالث معاني (مع) مرادفة (عند) وهي تكون للحضور المعنوي كما تكون للحضور الحسي . قال « مغني اللبيب » الثالث مرادفة (عند) . انتهى . وقال أيضاً **عند** – اسم للحضور **الحسي** نحو ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ **والمعنوي** نحو ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ **وللقرب** كذلك نحو ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ إلخ .فليتأمل من ينكر الاستنباط . (هامش الأصل) .



وأخبرني الثقاة أنَّ هذا الرجل قد قام لإبطال ما يفعله أهل الطريقة ويمنع الناس من اتباعهم وقد صدقوا فيما قالوه فإنه كتب إليّ أيضاً ما معناه بأنّه ليس للطريقة النقشبندية دليل من الكتاب والحديث مع أنّها هي عين الشرع ولبّ الكتاب والحديث كما قالوا .

وإذا كان الأمر كذلك قصدتُ لكتبة كتابٍ حافلٍ لجميع أقوال العلماء المشيَّدة بنصوص الآيات والأحاديث لكن لمّا استخرت الله تعالى في ذلك وَقَعَت الإشارةُ بقوله تعالى ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ فأعرضت عن ذلك ظنّاً مني أن تلك الآية إشارة إلى عدم حصول المنفعة له بأقوال العلماء التي كنت قصدتُ جَمْعَها .

ثم إني لمّا سمعتُ ما يحصل لأهل الدين من الضرر بأقوال هذا الرجل عفا الله عنه آمين ورأيت كلامه يخدِش كلامَ الأكابر ويضرّ أرواحَهم شمّرتُ الذيل لكتبة ما يرُدّ أقوالَه وينصر أقوالَهم .

وقد طلب منّي إخوانُ الدين جمعَ رسالة في حقّه وحقّ ما يقول إخوانه الناصرون لانتشار بدع المبتدعين **فوجب** علينا النصرة والإمداد للسادات امتثالاً بأمر الله في قوله ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ الآية .

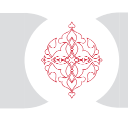
وأرجو الله تعالى أن يكون سعيي محضاً لوجهه وأن يغفر منّي ما كان فيّ من حظ النفس وأنا لا أشعر ولا أعلم وهو حسبي ونعم الوكيل .

وسمَّيْتُ هذه الرسالة بـ« **السفر الأسنى في الرابطة الحسنى** » جعلها الله تعالى سبباً لنزول المواهب اللدُنِيَّة على قلوب أهل الإرادة والإنابة ولا جعلها سبباً لزيادة الحسد والعناد في هذه الطائفة العلية وعفا الله عنّا وعن جميع الأمّة المحمديّة آمين .

اعلم أيها الولد قد كنتَ أوّلاً صرتَ من أحبابنا بل من جملة إخواننا من الرضاع المعنويّ وولداً مقبولاً من النسب الروحيّ فما حَمَلَك على هذا العقوق والتقدُّم من بين العلماء على الإنكار بما كان يفعله أصحاب طريقتنا وكنّا نقتدي بأثرهم لا نزيد ولا ننقص شيئاً ممّا بيّنوه وصرّحوه في كتبهم وأمرونا باتباعهم في ذلك .

ألم تر شيئاً ما في الخلق منكراً في الشرع غير هذا لتنصحَهم وتكون آمراً لهم بالمعروف وناهياً عن المنكر بدل هذا ولا أرى منك هذا الالتجاءَ إلا أن الشيطان سوّل لك سبيله فاتَّبَعْتَ مكره ومكائده فلو تدبَّرت لتنبَّهت وإلا تكون مُعِيناً وناصراً للشيطان وتفرّحه ويسخط عليك أهل العرفان . فالعياذ بالله .

أيها الولد فهل تظنّ أنك أعلم بالكتاب والسنة ومعانيها من العلماء المتقين الماضين والأئمة والأقطاب المجتهدين الذين يعلمون العربية ومعاني الآيات والأحاديث التي هي بِلُغَتِهم فحاشا ذلك ثم حاشا فالتفرُّد عن أولئك القوم والالتجاء إلى إنكارهم لا يكون أصلاً إلا ممّن ليس له عقل سليم وطبع صحيح وقد صرَّحت آيات القرآن بالاتباع قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ وقال ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ



مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ وقال ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ والقرآن من أوّله إلى آخره ناطق بذكر الصالحين والأمر باتباعهم وأما أنت فقد صرّحت بعدم إطاعتك إيّاهم وذا منك رؤيتك نفسك خيراً منهم والحال أنّ إبليس إنما لُعِنَ بقوله أنا خير منه .

وقد قيل إنّ **من رأى نفسه خيراً من فرعون فهو متكبِّر** والله لا يحبّ المتكبرين . فهلاَّ صبرت حتى تسأل علماء الطريقة والحقيقة عن معنى الرابطة في اصطلاحهم

فينبغي لك أن تعلم أن معنى الرابطة ليس إلا تخيُّل صورة الصالحين بمحبَّتهم وسؤال الله تعالى بإيصاله ما رزقهم بفضله من نور معرفته وذكره بل هو دعاء محض والحبّ في الله لا غير والدعاء عبادة بل هو مُخّها كما ورد[1] وقد قال تعالى ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فصار السؤال والدعاء بهذا النصّ امتثالاً بالأمر وقال تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾ والاتباع صار أيضاً امتثالاً بالأمر أيضاً ولا يخفى **أن قلب التابع لا يخلو عن تخيّل المتبوع وقت المتابعة** . وذلك التخيل من اللوازم لأنه إذا لم يتخيل التابع المتبوع في حالة المتابعة لا يعدّ ذلك اتباعاً أصلاً بل يكون عبثاً . ألا ترى أن من توضّأ بنيّة التبرّد بغير نيّة المتابعة بالنبيّ عليه السلام لا يكون ذلك اتّباعاً ولا يثاب عليه كما بيّنه الفقهاء[2]

---

(١) بقوله ﷺ « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه .

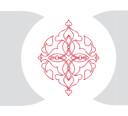
(٢) أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نسبغ الوضوء صيفاً وشتاءً امتثالاً لأمر الله واغتناماً للأجر الوارد في ذلك في الشتاء ولأنه ربما استلذّت الأعضاء بالماء البارد في الصيف فيبالغ المتوضئ



وقد اعترضت أيها الولد على القطب المشهور عبيد الله الأحرار على ما فسّره لقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ واستدلاله به لإثبات الرابطة وقلت بأنّ معناه كونوا مصاحبين لهم في الغزوات وسائر الأعمال . اللهمّ نَعَمْ فنَعَمْ هذا التفسير أيضاً حجة عليك لا لك لأنّ كون المريد مع الشيخ الصادق في الجهاد الأكبر الذي هو القتال مع النفس الأمّارة التي هي الصنم الأكبر في الحقيقة واتِّباعه به في الأعمال الصالحات والأخلاق المرضيات الإلهية التي أمر النبيّ عليه السلام بقوله « تَخَلَّقُوا بِأَخْلاَقِ اللهِ »لا يتصوّر أصلاً بعدم تخيّله وتفكّره وتصوّره ومحبّته كما لا يخفى على عاقل سليم الفطرة وذا عينُ الرابطة .

وأيضاً تفسيرك لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي الطاعة والعبادة هو أيضاً حجّة عليك لأنّ السؤال والدعاء بأن يرزقه الله تعالى الفيض الإلهيّ ونور المعرفة والذكر الذي أفاضه الله سبحانه إلى قلب وليّه عبادة وتخيّله حينئذٍ لازم ضروريّ وذا أيضاً عين الرابطة في اصطلاح الصوفيّة .

في الإسباغ لحظّ نفسه فينبغي أن يتنبّه المتوضئ لمثل ذلك ويسبغ امتثالاً للأمر لا لاستلذاذ الأعضاء بالماء . وهذا سرّ أمر الشارع لنا بالوضوء ليقول العبد لنفسه إذا استلذّ بالماء في الصيف وادّعت أنها مخلصة في ذلك إنما هذا لحظّ نفسك بدليل نفرتك من إسباغ الوضوء في الشتاء فلو كان إسباغك الوضوء في الصيف امتثالاً لأمر الله لكنتِ تسبغين ذلك في الشتاء من باب أولى لأنه [أي الشارع] وعدك بالأجر عليه أكثر . وهذا الأمر يجري مع العبد في أكثر المأمورات الشرعية فيفعلها العبد بحكم العادة مع غفلته عن امتثال الأمر وعن شهود الشارع فيفوته معظم الغرض الذي شرعت تلك الطاعة له وهو الفوز بمجالسة الشارع في امتثال أوامره واجتناب نواهيه . انتهى « لواقح الأنوار القدسية » ص ١٥ . (هامش الأصل) .



وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يؤيّد ذلك من أقوال العلماء وما قاله جماهير المفسرين في قوله تعالى ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الآية من كونه دليلاً صريحاً للرابطة[١] .

ورد في الحديث « [مَثَلُ] المُؤْمِنِ مَثَلُ النَخْلَةِ مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ » . قال العزيزيّ وجه الشبه بينهما أن أصل دين الإسلام ثابت وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب وأنه لا يزال مستوراً بدينه وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيّاً وميّتاً . انتهى من « السراج المنير » ٢٧٧ .

وقال أيضاً **فمعاشرة المؤمن الكامل الإيمان تنفع في الدارين** . انتهى .

فينبغي أن يعلم أنّ تلك المعاشرة تكون بالجسم كما إذا كان المتعلم أيضاً يقرأ الدرس على أستاذه ويسمع قوله ويتصوَّر صورته وتكون أيضاً بالرّوح كما إذا كان يطالع درسه ويقرر علمه وينظر ويتفكّر فيما قاله ابن حجر أو المحلي أو الرملي مثلاً والحال أنّه يتخيّل فيهم ولا ينفكّ خاطره عن تصوّرهم وطلب إفاضته تعالى اليه ما أفاضهم من العلوم[٢]

---

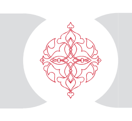
[١] قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله . تفسير « الجلالين » .

[٢] ورأيت فى « الفتاوى العمرية » ما حاصله أن الحكماء الفلسفية كانوا يلقّون العلوم العقلية كالمنطق والحكمة إلى الطلبة بتوجه الأستاذ إليهم وإلقاءها بالهمَّة إلى قلوبهم بعد رياضة تامة فاذا ثبت هذا من الكفرة فلا مجال للإنكار على ثبوت التصرف ونفع التوجه من قلوب أولياء الله تعالى والعلماء العارفين فى قلوب المريدين بل معلوم عند كل أحد من الجهلاء فضلاً عن العلماء نفع التوجه والنظر الظاهري لأنّ المتكلم إذا ألقى الخطاب إلى المخاطب بالمواجهة لا بالمدابرة له تأثير عظيم ألا يُرَى أن الطلبة ينظرون ويتوجهون إلى وجه الأستاذ وفمه حتى يقرّر الدرس فلو كان

فهذا أيضاً عين الرابطة . ومن يدوم على هذا في كل حالة وقت المطالعة إلى الكتب ولا يَعد ذلك من الشرك بل يحسّنه ويحمده ومع ذلك ينكر أهلَ الله على تخيّل صورة متبوعهم الذي تخلَّق بأخلاق الله واتبع رسوله وفَنِيَ في التوحيد وحصل له الشهود الذاتي وبقي بالله ويصرّح بأنه شرك ومذموم فعساه لم يدرك حقيقة معنى الرابطة في اصطلاح العارفين وأنّ ذلك منه صلابة في الدين .

وأرجوه أنه لا يستقرّ فيما ظنّه من الشبهة بل يرجع إن شاء الله إذا ظهر له الحقيقة ولا يليق بعاقل أن يخرج من اتباع أقوال العلماء والأئمة المتقين والفقهاء الصالحين الذين عِلْمُنا بالنسبة إلى علومهم كذرّة بالنسبة إلى العرش وما فيه .

يقرّر الدرس بالمدابرة لما يجلس في درسه أحد وهذا بَدِيهيّ . فافهم جدّاً . انتهى ملخصاً فراجعه . وفي « تبصرة الفاصلين وحجة الواصلين » للزهدي قدس سره وأما الخواطر التي تجيء للإنسان حال كونه في الصلاة من صور الممكنات بإرادته وبغير إرادته من غير قصد عبادة لها فما قال أحد من الفقهاء مثلها تفسد صلاة المصلي ولا قال يحرم بل مثلها معدودة من تكليف ما لا يطاق وأما المفسد اتخاذ واحد معيّن معبوداً لنفسه وإحضاره في نفسه لقصد العبادة له وذلك الاعتقاد والنية مخرج عن الدين ومبطل للعمل وظاهر الشريعة لا يحكم بالكفر بل هو منافق . وأما الصلاة إلى وجه الإنسان فمكروه للمشابهة لا إلى جنبيه . وفي غير الصلاة من العبادة كالتدريس والوعظ والنصح والخطبة وكتعليم الذكر وتلقينه فالمواجهة من الطرفين مستحبة لأجل الإفادة والاستفادة ظاهراً وباطناً **والرابطة من المريد لاستفادة النسبة الباطنيّ والمعنويّ لا لشيء آخر** . وشرط الاستفادة التوجه التام وجمع الخاطر بالاهتمام وبهما ينفتح باب الإفادة وبعدمهما ينسدُّ . انتهى . وأثبت الزهدي فيه استحسان الرابطة بدلائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس لكن كتبة جميعها في هذا المختصر صعب فمن أراد أن يعلم الحقيقة فليراجع إليه وذا كتاب نفيس . (منه) .



صرّح ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » بوجوب اتباعهم . وقال بعد كلام في غير هذا بما لفظه فيجب الأخذ بأقاويلهم **لأنهم عَلَمُ الأمة واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ومن خالفهم متّبع لهواه .** انتهى . فراجعه ٢٠٣ ج١ .

و في الحديث « اِقْتَدُوا باللذَيْن مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمّارٍ وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ » أي عبد الله بن مسعود .

وفيه « اِتبعوا العُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ سُرُجُ الدنيا وَمَصَابِيحُ الآخِرَةِ » .

ومع هذا صرت تنكر السواد الأعظم من الأمّة المحمدية الذين أمر النبي عليه السلام بالكون معهم بقوله « عَلَيْكُمْ بِالسَوَادِ الأَعْظَمِ » وقلتَ والاستدلال بأقوال العلماء والمشائخ عبث لا فائدة فيه وصرت داخلاً بلا ريب في دائرة قوله عليه السلام « مَثَلُ الذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ مَثَلُ بَعِيرٍ تَرَدَّى وَهُوَ يُجَرُّ بِذَنبِهِ » قال العزيزي معناه أنه وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردّى في البئر فصار ينزع بذَنَبِهِ ولا يمكنه الخلاص . انتهى ١٧٧ ج٣ . وقال الحفني أي لكونه تردى بمقدم بدنه فلا يمكنه الخلاص لأن الذنب لا قوّة له على جذب جميع الجثّة . انتهى .

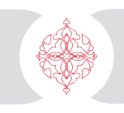
وقال العزيزي في تفسير حديث « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ » . . . إلخ . وفي الحديث النهي عن مجالسة من يُتَأَذَّى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب فيمن ينتفع بمجالسته فيهما . انتهى ٢٧٥ .



فتفكر أنت أيها الولد أنّ أرباب الطريقة أخذوا أصولهم من الكتاب والسنّة وأنهم لا يجوّزون شيئاً مّا يخالفهما أصلاً **وقد كان الإمام الشافعيّ والإمام أبو حنيفة وغيرهما يتواضعون لأهل وقتهم ويتبرّكون بهم** كما هو مذكور في كتب الشعراني **وإنَّ الإمام الرباني قدّس سرّه هو الذي قيل في حقّه إنّي لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني . وهو المجدِّد الألف الثاني القائل بيني وبين مجدّد المائة من الفرق ما بين المائة والألف صرّح في « مكتوباته » بالرابطة واستحسنها** . وغيره من العارفين والعلماء العاملين قالوا بحسنها . وسأذكر لك إن شاء الله تعالى أسماء من يقول باستحبابها مع بيان الكتب .

دعوى الاجتهاد

واعلم أيها الولد إن كنت تزعم الاجتهاد وأنت تعرف معاني الآيات والأحاديث منطوقها ومفهومها فما أعظم قلّة عقلك وخرافة ذهنك ألم تدر أنّ العلماء بل العوام الذين هم كالهوامِّ يضحك عليك وتصير عندهم ذليلاً لا حرمة لك عندهم لما أنك صرّحت كلاماً لو ألقي في البحر لتكدر وردّدت أقوال الأغواث والأقطاب كخالد البغدادي الذي تضلّع بجميع العلوم العقلية والنقلية وقد صرّحوا في مناقبه أنّه **كان يقوم له خمسمائة عالم بأرجلهم يخدمونه ويحترمونه وكان في زمانه يقطع الحجّة في كل العلوم ولا يساويه في البحث أحد من علماء وقته وقد عَدُّوا من أجلّ كراماته التي لم تحصل لأحد غيره من قبلُ ومن بعدُ إطاعة علماء الظاهر له** .



وفضل الغزالي والشعراني والسيوطي والرازي وغيرهم من أكابر العارفين الذين استحبّوا واستحسنوا التوسّل بالأنبياء والصالحين والرابطة بهم للاستفاضة مشهور غنيّ عن البيان **ومخالفة هؤلاء مخالفة السواد الأعظم من الأمة المحمّديّة** .

قال السيد الشريف العالم العلامة الفقيه الكامل مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن بن محمّد بن حسين بن عمر المشهور (باعلوي) رحمه الله تعالى في كتابه « بغية المسترشدين » بما نصّه .

مسألة (**ك**)[١] . شخص طلب العلم وأكثر من مطالعة الكتب المؤلفة من التفسير والحديث والفقه وكان ذا فهم وذكاء فتحكَّم في رأيه أنّ جملة هذه الأمّة ضلّوا وأضلّوا عن أصل الدين وطريق سيد المرسلين ﷺ فرفض جميع مؤلفات أهل العلم ولم يلتزم مذهباً بل عدل إلى الاجتهاد وادعى الاستنباط من الكتاب والسنة بزَعْمه وليس فيه شروط الاجتهاد المعتبرة عند أهل العلم ومع ذلك يُلزم الأمّة الأخذ بقوله ويوجب متابعته فهذا الشخص المذكور المدعي الاجتهاد يجب عليه الرجوع إلى الحقّ ورفض الدعاوى الباطلة . وإذا طرح مؤلفات أهل الشرع فليت شعري بما ذا يتمسك فإنه لم يدرك النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحداً من أصحابه رضوان الله عليهم فإن كان عنده شيء من العلم فهو من مؤلفات أهل الشرع وحيث كانت على ضلالة فمن أين يقع الهدى فليبيّنه لنا فإن

---

[١] أي مسألة الكردي .



كتب الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ومقلّديهم جلُّ مآخذها من الكتاب والسنّة وكيف أخذ هو ما يخالفها .

ودعواه الاجتهاد اليوم في غاية البعد كيف وقد قال الشيخان وسبقهما الفخر الرازي **الناس اليوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد .**

ونقل ابن حجر عن بعض الأصوليّين **أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد** أي مستقلّ وهذا الإمام السيوطي مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وتفنّنه بما لم يسبق إليه ادّعى الاجتهاد النسبيّ لا الاستقلاليّ فلم يسلم له وقد فاقت مؤلفاته على الخمسمائة .

وأما حمل الناس على مذهبه فغير جائز وإن فرض أنه مجتهد مستقلّ ككلّ مجتهد . انتهى ٧ . وقال قبيل هذا بما لفظه قال في « فتاوى » ابن حجر **ليس لمن قرأ كتاباً أو كتباً ولم يتأهّل للإفتاء أن يفتي إلا فيما علم من مذهبه علماً جازماً** . انتهى ٦ .

واعلم يا ولدي لا أرى هذه المسألة والجواب إلا عين ما تفعله من الدعاوى الباطلة التي لا يقبلها عاقل عالم ولا جاهل له أدنى إدراك لأن الناس لا يعتقدون ولا يظنون بل ولا يوهمون أن علماء الأمّة المحمّدية مخطئون والاستدلال بأقوالهم عبث لا فائدة فيه والمنكر لهم ومخالفهم الذي نشأ في هذه الأمكنة البعيدة من الديار الإسلامية وأضرابه محقّون مصيبون **فيا ليتك يا ولدي** لم تقل هذه الأقوال الشنيعة التي تقشعرّ بسماعها جلود أهل الله ولا أراك إلا محارباً للإسلام والمسلمين وقد

تجاوزت إلى من قبلنا من أئمّة الهدى والصحابة رضي الله عنهم أجمعين لأنك أنكرتَ التوسل بالأنبياء والصالحين بالكليّة وعدّدت من يزورهم ويزور قبورهم من المشركين .

وقد قال في « بغية المسترشدين » ما نصّه وقد ورد في الأثر عن سيد البشر ﷺ أنه قال « مَنْ وَرَّخَ مؤمناً فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهُ وَمَنْ قَرَأَ تَارِيخَهُ فَكَأَنَّمَا زَارَهُ وَمَنْ زَارَهُ فَقَد اسْتَوْجَبَ رِضْوَانَ اللهِ تَعَالَى فِي حَرُورِ الجَنَّةِ وَحَقٌّ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ » .انتهى . (مشرع) .

وفي « شرح السُحيمي على الجوهرة » حديث « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ عند قَبْرِ مَيّته (اللّهُمَّ بِحَقِّ سَيّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ لا تُعَذِّبْ هذَا المَيّتَ) إِلاَّ رُفِعَ عَنْهُ العَذَابُ إِلَى يَوْم يُنْفَخُ فِي الصُورِ » اهـ .

فائدة زيارة القبور لمجرّد تذكّر الموت والآخرة فتكون برؤية من غير معرفة أصحابها أو لنحو دعاء فتسنّ لكل مسلم أو للتبرّك فتُسنّ لأهل الخير لأن لهم في برازخهم تصرّفات وبركات لا يحصى مددها أو لأداء حقٍّ كصديق ووالد لخبر « مَنْ زَارَ قَبْرَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا يَوْمَ الجُمُعَةِ كَانَ كَحَجَّةٍ » وفي رواية « غُفِرَ لَهُ وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَارِ » أو رحمةً وتأنيساً لما روي « آنَسُ ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان أحبّه في الدنيا » . **اهـ** « إيعاب » . **اهـ** ٨٨ .

وفي « الصاوي » في تفسير آية ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ من سورة (الجاثية) وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل



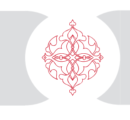
هي من التسبّب في نفع الغير لأن الترضي عن الأولياء والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ولا شكّ ذلك الغير ينتفع به والمتسبّب له مثله لما ورد أن الملك يقول له (وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ) . فآل الأمر إلى **أن زيارة الصالحين والتوسّل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لأنّ أحبّ عباد الله أنفعهم لعباده** وصدق عليهم أنهم يَصِلُونَ ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلاً عن كونها شركاً كما اعتقده ذو الجهل المركّب والعقيدة الزائغة . انتهى ٥٥ .

وإن أردتَ يا ولدي أن تدرك الأحاديث الواردة في حقّ التوسُّل في حياته عليه السلام وبعد مماته وجواز التوسّل بالصالحين الأحياء والأموات فراجع « نور الإنصاف » و« شواهد الحقّ » وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيّدة بالنصوص المؤيدة » .

قال العالم العلامة يوسف النبهاني في « المدائح النبوية » واعلم أن هؤلاء المَفتونين[١] يدّعون الاجتهاد المطلق واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ويرفضون المذاهب الأربعة مع جهلهم المركّب وفِسْقهم المحقَّق وتهّتكهم في أنواع المعاصي من الكبائر والصغائر وسائر المعاصي وتركهم ما عدا الشهادتين من أركان الإسلام فلا صلاة ولا زكاة ولا حجّ ولا صيام ومع كونهم كالأنعام أو أضلّ من الأنعام يدّعي كلّ أحد منهم أنّه من أئمة الإسلام ويدعو الناس إلى الاجتهاد في الدين حتى العوام

---

[١] أي الوهابية المتمسّكة ببدع ابن تيمية عفا الله عنهم . (هامش الأصل) .



وهم مع كلّ ذلك لا يتقيّدون بالحلال والحرام وإنّما دينهم كلام في كلام فصارت أحكام الدين عندهم ما خطر ببالهم ووافق أغراضهم وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمّقة الملفّقة . انتهى .

وقال بُعيده **فنصحي لكل المسلمين أن لا يلتفتوا إلى كلامهم ويعتقدوا أنهم في هذا العصر من أعدى عُداة الإسلام** . انتهى .

وقال بُعيد هذا **أمّا أئمّة الإسلام فلم يزيدوا على الكتاب والسنة شيئاً من عند أنفسهم بل جميع أحكام المذاهب الأربعة إمّا مأخوذة من صريح الكتاب والسنّة** وهو أكثر الأحكام أو مستندة إلى الإجماع الذي هو مستند إليهما أو إلى أحدهما ولا بدّ أو مستندة إلى القياس الصحيح عليهما أو على أحدهما **فليس هناك حكم في المذاهب الأربعة خارجاً من الكتاب والسنة من كل الوجوه** ولا يمكن أن يستعملوا القياس إلا إذا لم توجد آية أو حديث للاستدلال . انتهى .

وأطال في حقّ هؤلاء الطائفة فراجعه . ففيه كلام كثير في الردّ على هؤلاء القوم .

و في « شواهد الحقّ » بما نصّه قال بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليّين أنه **لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقلّ** .

ثمّ قال الشهاب ابن حجر **إذا كان بين الأئمّة نزاع طويل في أنّ إمام الحرمين وحجّة الإسلام الغزالي وناهيك بهما هل هما من أصحاب**

الوجوه أو لا فما ظنّك بغيرهما بل قال الأئمّة في الروياني[١] صاحب « البحر » أنه لم يكن من أصحاب الوجوه . هذا مع قوله **لو ضاعت نصوص الشافعي لأمليتها من صدري .**

فإذا لم يتأهّل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبيّ فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدّعي ما هو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق سبحانك هذا بهتان عظيم . انتهى .

وفي « الأنوار » عن الإمام الرافعي الشافعي **القوم كالمُجْمِعين على أنه لا مجتهد اليوم** . انتهى ٤ .

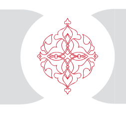
وفيه وقد صرّح حجة الإسلام الغزالي بِخُلُوِّ عصره من مجتهد حيث قال في « الإحياء » في تقسيمه للمناظرات ما نصّه أمّا من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كلّ أهل العصر فإنما يفتي فيه ناقلاً عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه .

وقال في « البسيط » هذه الشروط يعني شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي قد تعذّرت في عصرنا . انتهى ٥ .

ونقل النبهاني عن الكردي ما حاصله الاستنباط من الكتاب والسنّة لا يجوز إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد كما نصّوا عليه . انتهى .

---

[١] فخر الإسلام أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني « بلدة بنواحي طبرستان » من أكابر أعيان الشافعية له كتب عديدة منها « بحر المذهب » يعدُّ من أطول كتب الشافعي كانت له حظوة عند الملوك فتعصب عليه جماعة وقتلوه بعد مجلس إملائه في (آمل) سنة اثنتين وخمس مائة .



وقال بعد ذلك إذا علمت ذلك تعلم أن ما يهذي به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق وأنهم تأهّلوا لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة بأنفسهم ولم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من الأئمة الأربعة حتى تركوا مذاهبهم التي نشؤوا عليها وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ويقولون نحن لا نعمل بآراء الرجال وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال هو من الوساوس الشيطانية والدعاوى النفسانية التي حملهم عليها قلة العقل والدين ورضاهم عن نفوسهم وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب . وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة فلم يحصّلوا مطلوبهم[١] من علوّ المنزلة عند الناس ومقتهم الله وكرّه فيهم خلقه فصاروا عندهم مرذولين يهزؤون بهم .

وَمَنْ جَهلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لاَ يَرَى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن و« صحيح البخاري » فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين .

---

[١] قال الإمام الرباني قدس سره وكما أنّ الاعتقاد بموجب الكتاب والسنة ضروريّ كذلك العمل بمقتضاهما على نهج استنبطه المجتهدون منهما واستخرجوا الأحكام عنهما من الحلال والحرام والفرض والواجب والسنة والمستحب والمكروه والمشتبه والعلم بهذه الأحكام ضروري ولا يجوز للمقلد أخذ الأحكام من الكتاب والسنة على خلاف رأي المجتهدين وأن يعمل بها . انتهى « الدرر المكنونات » ٣١٣ ج ١ .

وفيه قبيله فتقديم الكشف على أقوال العلماء تقديم له في الحقيقة على الأحكام القطعية المنزلة وهو عين الضلالة ومحض الخسارة . انتهى . فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .(هامش الأصل) .

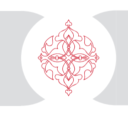


فإيّاك يا أخي من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى والزم مذهبك وقلِّد أيَّ إمام شئت من الأئمّة الأربعة بدون تتّبع الرخص والتلفيق في الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها إمام منهم فإن ذلك ممنوع .

وممّن يدّعون الاجتهاد علماء صالحون ولكنّهم مغفَّلون يعرفون شيئاً من الحديث والعربية وبعض العلوم المتداولة معرفة متوسّطة تُجوِّز في هذا العصر السافل إطلاقَ لفظ العالم على أحدهم وهم مع ذلك **بينهم وبين درجة الاجتهاد في أحكام الدين كما بين الشرطة والسلاطين** إن لم نقل كما بين الملائكة والشياطين ولكن لغفلتهم وقلّة عقولهم ورضاهم عن نفوسهم وظنّهم فيها الكمال ظنّاً ظاهر الزلل واضح الخطأ والخطل[١] سوّل لهم الشيطان أنهم أهل لهذه الدعاوى الكاذبة . وإنما دخل عليهم هذا اللعين من باب دعوى التقوى والتحرّي في الدين وأنّه لا يجوز لهم لسلامة دينهم تقليد أحد من المجتهدين وأن الواجب عليهم أن يأخذوا دينهم من الكتاب والسنّة رأساً بدون واسطة أحد وقد قرؤوا في بعض الكتب ذمّ الرأي والتحريض على اتباع الكتاب والسنة فاتخذوه حجّة لما ثبت في نفوسهم من ذلك وما علموا من غفلتهم أن الرأي المذموم هو الرأي مع وجود النصّ من القرآن أو الحديث في تلك المسألة بعينها . وهذا لا يقول به أحد من المجتهدين وتابعيهم وكيف وقد روي عن كل أحد منهم قوله **إذا صحّ الحديث فهو مذهبي** .

---

[١] اي الفساد .



وهذا إمامنا الشافعي كثيراً ما يكرّر في « الرسالة » و« الأمّ » كما قرأته بنفسي فيهما قوله ﷺ وهل لأحد قول مع رسول الله ﷺ فداه أبي وأمّي فالذي يقول هذا القول ويؤيّده بالفعل في كتبه بالاستدلال بالكتاب والسنّة ما أمكن الاستدلال بهما ووجد فيهما دليل على المسألة هل يقال في حقّه أنه يقول في دين الله برأي حاشاه من ذلك وهكذا باقي الأئمة **حتى الإمام أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الذين اشتهروا بأصحاب الرأي يقدّمون العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد للمسألة دليل غيره على القياس**كما قاله الإمام الشعراني ومن راجع تخريج أحاديث « الهداية » للإمام الزيلعي يتحقّق أنَّ مذهب الإمام أبي حنيفة ﷺ هو أيضاً مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب **إذ القاعدة عند جميعهم الاستدلال على المسألة من القرآن فإن لم يوجد فيه دليل لها فمن الحديث فإن لم يوجد فمن الإجماع فإن لم يوجد فحينئذ يقيسون المسائل على أقرب المسائل إليها وأشبهها ممّا ثبت دليله بالكتاب أو السنّة أو الإجماع .**

وهو أي القياس كما قال الإمام الشافعي ﷺ في « الرسالة » أن يكون الله تعالى أو رسوله ﷺ حرّم الشيء منصوصاً أو أحلّه لمعنى فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينصَّ فيه بعينه كتابُ الله ولا السنّة أحللناه أو حرّمناه لأنه في معنى الحلال أو الحرام[1] . فاعلم ذلك

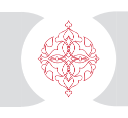
---

[1] وقال الإمام الرباني وأما القياس بالاجتهاد فليس من البدعة في شيء فإنّه مُظْهِرٌ لمعنى النصوص لا أنه مثبت لأمر زائد فاعتبروا يا أولي الأبصار . انتهى من « الدرر المكنونات » فراجعه في ١٦٠ من الجزء الأول . (منه رحمه الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

وقلِّد مَن شئت من أئمة المذاهب الأربعة واجعلهم بينك وبين الله تعالى فإنَّهم كلَّهم هداةٌ مهتدون ولا تدع للشيطان عليك سبيلاً فإنه يضلّك عن الهدى ويوقعك في مواقع الردى ويعينك على ذلك معرفتُك الحقّ لأهله وعدم رضاك عن نفسك واعترافك بقصورها ونظرك في العلماء الأعلام من أئمة الإسلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين وتقليدهم إيّاهم وعدم خروجهم عن مذاهبهم مع أنهم كانوا من أفراد العالَم في العلم **وما ادَّعى أحد منهم الاجتهاد المطلق فكيف تدّعيه أنت وأمثالك من القاصرين المغرورين الذين صاروا سخريّة للناس وملعبةً للشياطين** فاترك ما أنت عليه من الهوس والهذيان وقلّد من شئت من أئمة المذاهب الأربعة كسائر علماء الأمَّة وعوامِّها من عصرهم إلى الآن فذلك هو سبيل المؤمنين الذي اتّباعُه ألزمُ وأولى وقد قال الله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ . . إلخ . انتهى . وأطال في ذلك فراجعه في ٦ .

وفيه ما حاصله من أقبح الجنون جنون من ادّعى الاجتهاد في هذا الزمان . انتهى .

وذكر الباجوري في أوائل شرحه على « فتح القريب » أنّ **مجتهد المذهب** هو من يستنبط الأحكام من قواعد إمامه كالمزني و**مجتهد الفتوى** هو من يقدر على الترجيح في الأقوال كالرافعي والنووي لا كالرملي وابن حجر بل هما مقلّدان فقط .



وقال بعضهم بل لهما ترجيح في بعض المسائل بل وللشَبْرَامُلَّسِي أيضاً .

وعبارة « الفتاوى » والمتبحر في الفقه من أحاط بأصول إمامه في كل باب من أبواب الفقه بحيث يقيس ما لا نصّ فيه عليه . انتهى « فتاوى الچوخي » .

وفيه بعيد ذلك بل جميع علمائنا مقلِّدون فقط كيف لا وقد قالوا ذلك في « ابن حجر » و« الرملي » فما ظنّك بغيرهما مِمّن بعدهما وخاصة بعلماء ديارنا فتدبّر ولا تغفل والله تعالى أعلم . انتهى ٢٧٤ .

ونقل في « الآيات البيِّنات » بعد قول « شرح جمع الجوامع » (ويجوز خلوّ الزمان عن مجتهد أي أن لا يبقى فيه مجتهد) عن الكوارني بما نصه لو ادّعى إنسان وقوعَ الخلوّ عن المجتهد يجب أن لا يخالفه أحد لأن مثل إمام الحرمين والغزالي لم يُعَدَّا من أصحاب الوجوه فضلاً عن رتبة الاجتهاد ومَن بعدهما لا يلحق غبارهما إلاّ أن ابن دقيق العيد كان يزعم الاجتهاد لنفسه فأظهر كلاماً مخيلاً لا حاصل له . انتهى . ثمّ قال بعيده وأما ما ذكره مِن أنّ مَن بعد إمام الحرمين والغزالي لا يلحق غبارهما فهو ممّا لا ينبغي الشكّ من العاقل . انتهى . فراجعه .

فتدبّر أيُّها الولد فيما ذُكِر وتنبَّه من رَقْدتك ولا تنظر إلى كتب ابن التيمية وأتباعه فإنَّها محشوَّة مشهورة بالحشو وتخليط البدع المخالفة لأهل المذاهب . وقد صرّح العالم الشيخ النبهاني في « شواهد الحقّ »



بما نصه يجب عليك الحذر التام من مطالعة كتب الإمام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد . انتهى ١٠٥ . وقال قبله وبعده كلاماً كثيراً في حقه .

وذكر واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس وأن لا يدخل عليه بِدَوَاةٍ ومات في الحبس . ثمّ حدث من أصحابه من يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقي ذلك إلى الناس سرّاً ويكتمه جهراً فعمّ الضرر بذلك . . . إلخ . انتهى ١٠٥ .

والفرقة الوهابية الذين هم على عقيدته المخالفة لأهل السنّة والجماعة والمانعون من زيارة قبره عليه السلام وقبور الصالحين إنما نشأت على مذهبه ومذهب تلميذه ابن القيم[1] . فإنْ أردت أيها الولد عفا الله عنك آمين

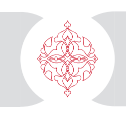
---

[1] والشيخ الأفغاني وابن عبد الوهاب ورشيد رضا ومحمد عبده وأضرابهم . (منه) . (هامش الأصل) .

* وسئل– أي ابن حجر نفع الله به بما لفظه لابن تيمية اعتراض على متأخري الصوفية وله خوارق في الفقه والأصول فما محصَّل ذلك . **فأجاب** بقوله **ابن تيمية عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمَّه وأذلّه وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله** . ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما كما يأتي .

والحاصل أنه لا يقام لكلامه وَزْن بل يرمى في كل وَعْر وحَزْنٍ ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضلّ جاهل غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين . انتهى . « فتاوى الحديثية » لابن حجر ٨٤ .

وأخبرني عنه السلف أنه ذُكر علي بن أبي طالب ﷺ في مجلس آخر فقال إنّ عليّاً أخطأ في أكثر من ثلاث مائة مكان . فيا ليت شعري من أين يحصل لك الثواب إذا أخطأ علي بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب والآن قد بلغ هذا الحال إلى منتهاه والأمر إلى مقتضاه [ولا ينفعني] إلا القيام في أمرك ودفع شرّك لأنك قد أفرطت في الغيّ ووصل آذاك إلى كل ميّت وحيّ وتلزمني الغيرة شرعاً لله



أن تعرف الأجوبة عن شُبه هؤلاء الطائفة الذين يستدلّون بها من الكتاب والسنة ويؤوِّلونها على غير محامله فراجع « شواهد الحق » و« نور الإنصاف » و« المدائح النبوية » ترى العجب ولعلّك تخرج بعد ذلك ممّا أنت فيه من الإنكار والاعتراض وأنا أنصحك بالحق الحقيق كما نصحتني بالقلم بما هو على الرد بالنصوص حَقِيقٌ .

وأنت أيها الولد كتبتَ بأنّ ما قاله القطب المشهور عبيد الله في تفسير آية ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ هو تفسير بالرأي فلعلّك قصّرت في طلبه وَاسْتَرْوَحْتَ فانظر إلى كتب التفسير لعلّك تجد ما يشفي غليل صدرك وقد ذكر ذلك التفسير صاحب « الرشحات » والعالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني في « هدية الذاكرين وحجة الواصلين » وراجع « الرحمة الهابطة » و« نور الهداية » .

ومعلوم مشهور **أنَّ الخارج من كونه معهم بالقلب بترك محبّتهم هو الخارج من دائرة الشريعة بلا ريب** لأنه لو كان محبّاً لمحبوب الله لما ترك تخيُّله وذلك الترك هو البغض بما أمر الله ورسوله به فانظر إلى قوله عليه السلام « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكونَ أَحَبَّ إِليهِ مِنْ نَفْسِهِ » **وإلخ وبغض العلم والعلماء كفر** كما هو مذكور في « البريقة المحمودة » فراجعه .

ولرسوله ويلزم ذلك جميع المؤمنين وسائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذي بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكفّ عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين . انتهى . « فتاوى الحديثية » ٨٥ راجعه . ففيه في هذا التاريخ بسط وزيادة ببيان المسائل التي خالف الناس . انتهى . (هامش الأصل) .



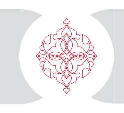
فإذا كان الأمر كذلك وجب أن نكون مع الصادقين في فعل ما فعلوه وترك ما تركوه من المخالفات وهذا يورث ربط القلب بهم بالضرورة فعلم أن تفسير الآية ليس برأي وبعض الكلام يفسّر بعضاً . قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ .

وقولك أيها الولد لم يوجب الله تعالى عليَّ الاعتقاد في الأولياء قولٌ يُخافُ على قائله من سوء العاقبة فعجباً على من يدعي الاجتهاد ومع ذلك يجهل ما يلزمه بهذا الكلام البارد فينبغي له أن يعلم أن من لم يعتقد في أولياء الله يؤذيهم بالقول أو بالفعل ومن آذاهم فقد تعرّض لمحاربة الله بشهادة « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » والله تعالى لا يحارب إلا كافراً كما صرّح بذلك ابن حجر في « الفتاوى » .

وفي « جامع أصول الأولياء » للقطب أحمد ضياء الدين ما حاصله ما من نبيّ ولا رسول إلاّ وله من هذه الأمّة وارث . . إلخ فكما أمر الله تعالى بالاعتقاد في الأنبياء والمرسلين كذلك يجب على كل مؤمن أن يعتقد في الأولياء وكراماتهم . فراجع « العقائد » .

وأيضاً أن من لا يعتقدهم يحتقرهم **واحتقار أهل العلم من كبائر الذنوب** هذا إن لم يستحلّ آذاهم واحتقارَهم عالماً بذلك وإلاّ فهو مرتدّ يقتل بردّته إذا لم يتب كما هو مصرّح في « تلخيص المراد » في ٣٠٥ .

وفيه **وقد جُرِّب أنَّ مَنْ وقع في العلماء أو طلبة العلم امتُحِنَ بسوء الخاتمة** والعياذ بالله . انتهى فراجعه .



فينبغي أن يعلم المنكرُ المعترض أن إذايتهم إنما تكون بعدم محبّتهم وعدم محبّتهم إنما يكون بعدم اعتقادهم فوجب اعتقادهم ومحبّتهم ليحترز من الدخول في هذا الوعيد الشديد فكما يجب أن يحبّ رسول الله ﷺ ويعتقده ولا يبغضه فكذا يجب حبّ تابعيه وعدم بغضهم[١] .

وأيضاً تكلَّمتَ على كلام الغوث الأعظم[٢] وقصدت بجهدك لردّ كلامه ولا أدري ما الذي حملك على هذا وقد نفيتَ ولاية الله عن الأقطاب والأوتاد وصرّحت أنّ الاستدلال بأقوالهم عبثٌ لا فائدة فيه مع أنّ أقوالهم مشيّدة بصريح الكتاب ومستنبطةٌ من الأحاديث الصحيحة فهذا القول من أعظم الأمور الفاضحة فيا ليتك لم تتفوَّه بهذا . عفا الله عنك بفضله وكرمه وجعلك من المتأدّبين بآداب أوليائه آمين .

وقد رأيت في « شواهد الحقّ » ما نصّه وقد تصدّى شخص للردّ على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وأرضاه وعمل في ذلك كراسة وأتى بها إليّ يعرضُها عليّ فطردته ولم أُصغ إلى قوله ففارقني ووقع من سُلَّمِ بيته وكان عالياً فانكسر صُلْبُه وخرج زرّ وَرَكِه[٣] من مكانه فهو إلى الآن مكسور يبول ويتغوّط على نفسه نسأل الله العافية . وقد أرسل لي مرّات أنّي أعوده[٤] فلم أفعل أدباً مع الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أَنْ أُوَالِيَ من أساء الأدب معه . انتهى نقله عن الشعراني فراجعه ٢٨٨ .

---

[١] فإنّ بغض العلماء كفر كما في « البريقة » . (هامش الأصل) .

[٢] خالد شاه

[٣] وفي نسخة وخرج وركه من مكانه .

[٤] وفي نسخة أنّي أدعو له وفي نسخة أن أعوده .

وفيه بُعيده وكان سيدي علي ابن وفا ﷺ يقول **التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنمُ والإنكار عليهم سمّ ساعة في إذهاب الدين** وربّما تنصَّر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله العافية .

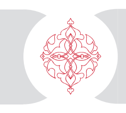
قال الإمام الشعراني ﷺ فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجْلِ مرآة قلبك فإنّك تشهد الصوفية من خيار الناس ويقلّ إنكارك وإلاّ فمِنْ لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورتك . انتهى . فراجعه ١٣٩ .

وقد قال واحد حين يزور يوسف الهمداني إني لأسألنّه شيئاً لا يدري جوابه أصلاً وكان من أجلّ علماء زمانه وأقدمهم فتنصّر ومات على ذلك فالعياذ بالله كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

وقد كان في زماننا هذا عالم ذو جاه لا يفوت منه شيء من فنون العلوم العقلية والنقلية وكان ذا مال كثير بيد أنّه أنكر قطب وقته فغضب عليه وقال انظروا ما ذا يقع له ولماله وغناه فصار أمر ذلك العالم بحيث يرحم عليه كل أحد ونفد ماله وصار مبتلى من كلّ الجهات . عفا الله عنَّا وعنه . آمين .

وكان واحد من أكابر العلماء ينكر شيخنا العسلي قدس سرّه وكان ذا جاه ومنصب أيضاً فغضب عليه فبعد ذلك عزل عن منصبه العليّ وطرأ عليه الجنون ومرض الماليخوليا فصار أمره إلى أسوأ حال ومات على ذلك غفر الله له ولنا . آمين .

وكان في ديارنا أيضاً رجل له علم وذكاء ولم يكن في ناحيته أعلم منه في فنون العلوم فأنكر الشيخ المذكور وكتب إليه كتاباً بكلمات باردة وأقوال فاسدة



لا تصدر قط من أديب فطرأ عليه مرض الارتعاش فصارت أعضاء جسده تتحرّك ليلاً ونهاراً كآلة المخياط وكان لا يقدر أن يحلّ ويعقد حَبْلَ إزاره في وقت قضاء حاجته وساء معه ظنون أهله وأولاده وصار بعد ذلك من أذلِّ الناس وأرذلهم عندهم ومات مطروحاً من طرف الغرفة عفا الله عنَّا وعنه .

وأخبرني بعض من الثقاة من قريته أنّ ذلك العالم لم يقدر يدُهُ بعد ذلك أنْ يأخذ القلم ويكتب به شيئاً .

وكان فينا أيضاً عالم فقيه مشهور فقال لواحد قولاً بارداً في حق الشيخ المذكور قدّس سرّه فقلت لواحد أُنظر ما ذا يحلّ على هذا الفقيه من البلايا فطرأ عليه بعيد ذلك بلايا ومصائب عامة في أمواله وأولاده وعمي ومرض كلّ من الذكور والإناث من أولاده بمرض الماليخوليا ثمّ تنبّه ذلك العالم بفضله تعالى وتاب لدينا وسلك في الطريقة بعد موت الشيخ المذكور قدّس سرّه وحسن حاله ويقول أهل قريته[1] لم يبق أحد من حساده ومنكريه إلاّ وأصابه مصائب جَمّة فهذه من علامة اعتنائه تعالى بأوليائه وأحبابه على وفق ما ورد في الحديث القدسي « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » . انتهى .

وذكر النبهاني في « شواهد الحقّ » بعد ذكره كلام المعتزلة وإنما العجب من قوم تسمّوا بأهل السنة وزعموا أنهم من حملة تلك المنّة ومع ذلك يبالغون في الإنكار لأنّ كلمة الإنكار حقّت عليهم إلى أنْ ألحقتهم بأهل البوار وأوجبت لهم نوعاً من الوبال والخسار وهؤلاء أقسام .

---

[1] أي الشيخ العسلي .(هامش الأصل) .



فمنهم من ينكر على مشائخ الصوفية ومتابعيهم **ومنهم** من يعتقدهم إجمالاً وأنّ لهم كرامات ومتى عيّن له أحد منهم أو رأى كرامة أنكر ذلك لما خيّله له الشيطان أنهم انقطعوا وأنّه لم يبق إلاّ ملبّس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبّس عليه وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان أيضاً . وقد تهوّر ابن الجوزي بالوقوع في خطرهم إلا أن تكون له نية صالحة كقصده قمع مبتدعة في زمانه وذلك أنّه صنّف كتاباً سماه « تلبيس الإبليس » تكلّم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم أنّ إبليس لبّس عليهم .

قال اليافعي ولم يدر أنّه هو الذي لبّس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر والعجب كلّ العجب منه في إنكاره على سادات ما بين أوتاد وأبدال وصدّيقين وعارفين بالله تعالى قد ملؤوا الوجود كرامات وأنواراً ومعارفَ أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله فحصل لهم في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله .

فقول الصغير منهم (**وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله إلاّ رددته**) هذا . وهو يعني ابن الجوزي يطول كلامه بحكاياتهم وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم فهلا أخلى كتبه من ذكرهم إخلاءً عامّاً ولا يكون ممّن يحلّونه عامّاً ويحرّمونه عامّاً أَمَا عَلِمَ أنّ علماء أعلام الأمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية ويتبرّكون بهم ويستمدّون منهم ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد أنّه قال في حقّ فقير يعتقده ويخضع له **هو عندي خير من مائة فقيه أو من ألف فقيه** . ونقل ابن حجر عبارة اليافعي إلى آخرها . انتهى ٢٤٢ .

قال الإمام الرباني وإن كان الاعتراض مقدار حبّة خردل فإنّه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان **وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة** . انتهى . « الدرر المكنونات » ٣٤٧ . ج ١ . فراجعه .

فيا عجباً لمن يقول على كلام رئيس الطائفة القطب خالد[١] لم[٢] يأمر الله تعالى باعتقاد الأولياء ويردّ كلامه بما لا طائل تحته مع أنّ هؤلاء الأئمة المذكورين كانوا يعتقدون في أولياء زمانهم ويطلبون التبرّك بهم وبرؤيتهم وصحبتهم .

وذكر في « المدائح النبوية » ما نصّه مات جمال الدين الأفغاني في القسطنطينية مفلوجاً بلسانه وكذلك مات بعده بسنوات محمد عبده في

---

[١] أي في قوله في رسالته وإن كان ممن يعتقد أولياء الله . . الخ .(هامش الأصل) .

[٢] وقال جلال الدين السيوطي في رسالته « قمع المعارض » هذا ما اخترته من المقال مما يناسب المقام والتقطته من المظان لهذا النظام تنبيهاً على مقام الأولياء وإشارة إلى علوّ رتبة الأصفياء وتحذيراً مما تأتيه طائفة الأغبياء الظانون أنهم في عداد الأذكياء القادحون بأفهامهم الفاسدة فيما لا يفهمون والخائضون بقلّة تقوّيهم فيما لا يعلمون لا هم وقفوا عند نص القرآن ولا هم امتثلوا ما روي عن سيد ولد عدنان لا هم عملوا بما قرّره أئمة الشأن ولا هم جنحوا إلى طريقة جارية على قانون الحق والعرفان . قال الله تعالى فيما روي فى الأحاديث القدسية بين حفاظ الشرق والغرب « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي لفظ « من آذى وليّاً فقد استعجل محاربتي وأنّى بالسلامة » وفي حديث مرفوع « من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة » رواه أهل الأمانة وفي آخر قدسي « من أخاف وليّاً فقد بارزني بالعداوة وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة » . وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام « من أهان وليّاً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وباراني وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي فيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعادينِي أن يعجز لي أو يظنّ الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكِلُ نصرتهم إلى غيري . انتهى من « هامش الدرر المكنونات » في ٢٨٠ ج١ . (هامش الأصل) .

الإسكندرية مفلوجاً بلسانه وعظم الداء فيهما حتّى قطع لسان كلّ منهما ولم يحصل فائدة حتى ماتا[١] شرّ ميتة على أسوأ الأحوال نسأل الله العافية ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين اتبعوهما على الضلال والإضلال . انتهى ٣٧٧ .

وفيه أيضاً قد رأيت في منامي منذ سنوات الشيخ رشيد رضا هذا وهو أسود اللون بلون الحبشي وعرفت أنا في المنام أنّ هذا من الغضب الإلهي عليه وأنّه حصل له بسبب جريدة « المنار » فنصحته في المنام بتركها وقلت له تقدر أنْ تستفيد ما تستفيده منها من الدنيا بجريدة أخبارية تُنْشِؤُها عوضاً عنها فلم يردّ عليّ جواباً في المنام ثم استيقظت وجاء إلى بيروت بعد سنوات من رؤياي هذه فأخبرته بها فما أثّرت فيه شيئاً . انتهى .

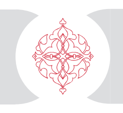
وفيه لا يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من شيء يدلُّ على أنّه من الحشوية ومخالف لأهل السنة . انتهى ٤١٥ . **وأظنّ** أن سبب اعتراضك على هذه الطائفة الصوفية إنما ظهر من النظر إلى كتب الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[٢] وأتباعه .

---

[١] وهما من أتباع ابن تيمية في انتشار بدعه عفا الله عنهم آمين .

[٢] ورأيت في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر ما يصرّح بعدم الإصغاء إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فراجعه وفي « الرسالة الزينية » ما ينشرح به الصدور ويردُّ كلامهما فحرّر والله الموفق للصواب . (منه) .

فلئن كان للعلم حرمة فللعلماء أيضاً حرمة والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب بل يحدث بها بغير حق ولا أجهل ممن يتعصب بالباطل وينكر لما هو به جاهل . من هامش « الدرر المكنونات » في ٨٨ ج١ .



. . . .

وقال الشيخ الشعراني رحمه الله في « لطائف المنن » وقد يكون سبب الإنكار جهل المنكر بمصطلح القوم وعدم ذوقه لمقاماتهم فالعاقل من ترك الإنكار وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته لا سيّما ولم يبلغنا عن أحد منهم ما يخالف الشريعة أبداً وربّما تكلّم العارف في شعره أو غيره على لسان الحق تعالى وربّما تكلم على لسان رسوله ﷺ وربّما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم أن ذلك على لسانه هو فيبادر على الإنكار .

وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص يقول أقلّ درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم . وكان سيدي علي وفا يقول التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم والإنكار عليهم سمّ ساعة في ذهاب الدين وربّما تنصّر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله تعالى العافية . انتهى .

فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فأجْلِ مرآة قلبك فأنت تشهدهم من خيار الناس ويقِلّ إنكارك وإلا فمن لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك فافهم . انتهى مختصراً في١٠٧ .

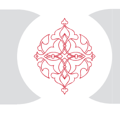
وقال في مقدمة « شرح تائية » للإمام العارف الصفديّ ويجب تحسين الظن بأولياء الله تعالى فإنّ إساءة الظن بعموم المؤمنين حرام فكيف بأولياء الله تعالى ولله في خلقه أسرار لا اطلاع للعوام عليها بل يطلع عليها من شاء من خاصته . انظر إلى ما وقع من الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقوله بعد ذلك ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ فسلّم لهم حالهم ولا تتابعهم فيما لا يوافق ظاهر الشرع وشرط جواز الاعتراض أن يكون ممن أحاط بهم بعلم الظاهر والباطن وإلا فهو قاصر فيسعى في إصلاح نفسه أوّلاً . انتهى في ١٠٨ ج١ .وقد صرح غير واحد بأنّ الجاهل باصطلاح الصوفية لا يجوز له أن يخوض في كلامهم لأنّ ذلك يوقعه في رمي أولياء الله تعالى بالكفر والزندقة كما وقع ذلك لغير واحد . في ١٢٤ ج١ .

والمعاند يرغب في إخراج المسلمين من الإسلام بأدنى شبهة لاسيّما قوماً مشهورين بالصلاح يرشدون العباد إلى الله تعالى . في ١٢٨ ج١ .

فعلى الحكام وولاة الأمور أن يسعوا في تأديب أمثال هؤلاء المتجرئين بالسعي المَوْفور وأن لا يخلوهم في ضلالهم القديم بل ينبغي أن يهتموا في التأديب والزجر بالاهتمام العظيم حتى ينقطع القيل والقال بين الآحاد وينسدّ باب التعصب والتجرؤ وينعدم الفساد . في ١٥٤ ج١ . فوجب على كل من بيده القلم والسيف أن ينصر الإسلام والمسلمين ويؤيّد أولياء الله تعالى فهم في الحقيقة هم العلماء العاملون في١٥٧ ج١ . ولا يتكلف في حمل الكلام على أمر بعيد من مخالفة الشرع وإيجاب التكفير الشديد والتكفير أمر عظيم لا يتجرأ عليه إلا من هو غافل أوجاهل لئيم . قال في « البحر » والذي تحرّر أنه لا

أيها الولد إنّ الكتب من كتب أئمتنا كثيرة فيا ليتك تقتصر النظر إليها ففيها ما يكفيك في الدين والدنيا ولا تنظر إلى كتب هؤلاء القوم الذين صرفوا آيات القرآن عن مصارفها وحملوها إلى مقاصدهم الفاسدة الكاسدة ويا ليتك تنظر إلى غيرها من الكتب التي ردّ مؤلّفوها جميع ما أثبت أولئك القوم المخطئون كـ« شواهد الحقّ » وكتب الإمام السبكي و« الفتاوى الحديثية » و« الفتاوى الكبرى » لابن حجر وغيرها . وأرجو الله تعالى أن يصرف همتك إلى أحسن الأحوال وأن يخرجك عن هذه الورطات وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة . انتهى . وباب التأويل لكلام الأولياء مفتوح ولا خير في الحكم بكفر مسلم فكيف بوليّ من أولياء الله تعالى في١٦٣ ج١ .



الرابطة

ثم اعلم أيها الولد لما كتبت لدينا ما بَدَا لك في حقّ الرابطة وعدّدْتَ من يفعلها من المشركين لا بدّ لنا من أن نكتب ما ظهر لنا من الأدلة في إثباتها .

قال الإمام الرباني في « مكتوباته » اعلم أنَّ حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلّف وتعمّلٍ علامة المناسبة التامّة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدّس سرّه في « الفقرات » إنّ ظلّ الدليل أولى من ذكر الحقّ سبحانه باعتبار النفع يعني إن ظلّ الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جلّ وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تامّاً . انتهى . فراجع « الدرر المكنونات » في ١٦٠ من الجزء الأول .

وفي « جامع أصول الأولياء » ما نصه الرّابطة هي أقرب الطرق ومنشأ ظهور العجائب والغرائب فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصلاً وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة فكافية في الاتصال . انتهى ٥٦ .

ونقل مؤلف « الفتاوى العمرية » قدّس سرّه عن « شرح العباب » لابن حجر رحمه الله تعالى بما نصّه وخوطب النبيّ عليه السلام كأنه الحاضر



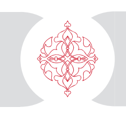
ليكون حضوره سبباً لمزيد الخشوع . انتهى ويسلّم على نبينا ﷺ ويمثله بَيْنَ عَيْنِي قَلْبِهِ . وقد رأى ابن عباس صورة رسول الله ﷺ حين نظر إلى المرآة دون صورة نفسه بفنائه في الرابطة . « شرح الشمائل » لابن حجر ملخصاً .

ومن آداب الذاكر أن يخيّل شخص شيخه بين عينه . وهذا من آكد الآداب « نفحات القدسية » للشعراني .

وفي « الفتاوى العمرية » **ثم اعلم** أنّ الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً وهي رابطة الحضور رابطة الموت رابطة المرشد .

أما الرابطة الحضور فهي عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة وتفكُّره معيَّتَه تعالى وكونه حاضراً وناظراً إليه وسميعاً عليماً بصيراً على مقتضى « كَأَنَّكَ تَرَاهُ » ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ عاملاً مضمون الحديث « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَنْ تَعْلَمَ أَنّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » . فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها بل هي المقصود الأصلي . وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت فهي عبارة عن ربط القلب بالموت والقبر والقيامة وتفكر أهوالها وأحوال نفسه على مقتضى « مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا » « وحَاسِبُوا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » « وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » .



وأما رابطة المرشد التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم من فيوضات أهل الله الكمّلين وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين .

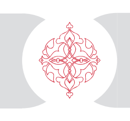
فهي عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبي من أنبياء الله تعالى أو وليٍّ من أوليائه تعالى أو على جميعهم أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها أو شيخه ومرشده الكامل الفاني في الله أو على من له حسن ظنّه بلا تردّد فهذه الرابطة الحبية ملزوم **وأما لازمها فالاستفاضة والاستمداد منهم وتخيّل صورهم أو صور روحانيتهم** . وذلك أن المريد إذا ربط قلبه بهم بالمحبة الكاملة بحيث كأنه حاضر معهم في مجلسهم وناظر إليهم على مقتضى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي جسماً إن أمكن أو روحاً إن لم يمكن يلزم عليه تخيل صورهم وتذكرهم وتخطرهم جسماً أو روحاً بالضرورة والطبيعة لأن المحبة عبارة عن توجه القلب وميله نحو المحبوب وطول الفكر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة حتى يصير بينهما الائتلاف الروحاني ثم تتأكد المحبة فتصير خُلَّة ثم تتقوَّى فتصير هوىً ثم يزيد الهوى فيصير عشقاً وهو إفراط المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل معشوقه وذكره وفكره ولا يغيب عن خاطره وذهنه كما قال اليافعي:

الحب نار سوى المحبوب تحـرقـه فيعــقب البرد من عـذب الوصالات



فإذا تمّت الرابطة وحصلت الائتلاف الروحاني بين السالك المرابط وبين المرابط عليه فله أن يستمدّ من روحانيته ويستفيض من فيضه وبركته ويتوسل به إلى الله تعالى وكذا يطلب الشفاعة والهمة والإعانة به وحينئذ يستفيض منهم في الغيبة كالحضور وينزجر عن المعاصي والشرور فهذه هي الرابطة عندنا **بل الرابطة موجودة في قلب كلّ مؤمن ومؤمنة يحبُّ الله ورسوله ويحب أولياء الله بالضرورة والطبيعة على حسب محبته واستعداده وقابليته** كما هي مشاهدة في حقّ النبي عليه السلام وسائر الصحابة حتى ينبغي لكلّ مؤمن أن يلاحظ ممدوداً من النور كالتلغراف من قلبه إلى قلب النبي عليه السلام ويستفيض منه في كل وقت وعلى كلّ حال وكذا تخيّل شخصه الكريم حتّى في تحيَّةِ الصلاة المفروضة . كما قال الغزالي في « الإحياء » وأحضر في قلبك النبي عليه السلام وشخصه الكريم ثم قل (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله) وليصدق أملك في أنه بلغه ويردّ عليك ما هو أوفى منه . انتهى قول الغزالي ملخصاً .

ثمّ اعلم أن الرابطة الحُبِّية القلبية كانت تحصل للصحابة والتابعين وأتباعهم بلا احتياج إلى التكلّف والتنبيه منهم على وجه الاضطرار ثمّ لمّا تمادى الزمان وتكدّرت القلوب وقلّت المحبة احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها والتصريح بها فأمر الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ثمّ عبّروا عن هذه المحبة بالرابطة **لأنّ العشق والمحبة يربط القلب المحب بالمحبوب ويقيِّد به فيحصل الارتباط الروحاني بينهما** وقد يسمّونها نسبة ويسمّى طريقهم طريق العشق والمحبة رضاءً لله تعالى لا لغرض سواه كما في الحديث « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي الله » .



وهذه المحبة اختيارية وعقلية لأنه يختار بحكم العقل منفعته بخلاف محبة الأولاد فإنها طبيعيّة وشهوتيّة **وقد تنقلب الاختيارية اضطرارية وذلك بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما** .

ثم إنّ الرابطة والمحبة أصالة لرسول الله عليه السلام وتبعٌ لورثته الكاملين فكيف لا وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ الآية . فانظر كيف أشركهم في الدعوة والإرشاد فكما جازت الصلاة والسلام عليهم تبعاً جازت الرابطة إليهم تبعاً . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي البغدادي . فيلاحظ صورة النبي عليه السلام أو روحانيته بالملاحظة الإجمالية إن لم يمكن له ضبط شمائله الشريفة وحليته المنيفة على ما بُيِّن في الكتب فالاستحضار بقدر الإمكان مع ربط القلب بحضرته العلية بالمحبة الكاملة يكفي في تحصيل المناسبة الروحانية إلى ذاته العلية ثم إذا حصل الاستعداد وترقى الحال والمقام عسى أن يتجلّى له روحانيته العلية فيحصل المرام **ومن هنا احتاج السالك إلى انتساب المرشد الحي الذي هو نائبه عليه السلام ليتوجه عليه بواسطة شيخه الفاني في الرسول وفي الله** فإن لم يجد مرشداً حيّاً فيتوجه أوّلاً إلى روحانية شيخ من المشائخ المشهورين بالإرشاد كعبد القادر وشاه نقشبند وجلال الدين الرومي أو غيرهم أو يتوجه إلى النبي عليه السلام بلا واسطة على قدر الإمكان بالضرورة . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي . قال الفاسي في شرح « دلائل الخيرات » في شرح حديث « إنَّ أَوْلَى النَّاس بِي أَكثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً » لأن كثرة الصلاة تدلّ على شدة حبّه وقوّة متابعته لأنّ « مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ ذِكْرَهُ » « والمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »

وإنّ المحبَّ لمن يحبّ مطيع[1] . فحينئذ قرب روحه من روحه عليه السلام وحصل بينهما التعارف والائتلاف والارتباط والمناسبة فكان أولى الناس به .

من أجلّ الفوائد الصلاة علي النبي ﷺ

ومن أجلّ الفوائد المكتسبة في الصلاة عليه السّلام انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً متأصلاً متصلاً حتى يُمكَّن حبّه من الباطن تمكّناً صادقاً خالصاً يصل بين نفس الذاكر ونفس النبي عليه السّلام ويُؤْلف بينهما في محلّ القرب لأن الحب يوجب الاتباع للمحبوب والاتباع يؤذن بالقرب والوصال ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ .

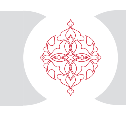
وفي الحديث « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ » . انتهى كلام الفاسي رحمه الله .

فكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلاّ باتباع رسوله عليه السلام وربط القلب به وبنبوّته وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء لأنهم وإن كانوا أنبياء لكن لا يحصل فيض منهم إلاّ بعد ارتباط القلب بمحمّد ﷺ كما لم يحصل الإيمان والفيض لليهود بمجرّد ربط قلوبهم بموسى عليه السلام مع أنهم يقرّون وحدانية الله

---

[1] عجز لبيتين من الشعر هما

تعصي الإله وأنت تظهر حُبَّه ... هذا لعمري في القياس شنيع
لو كنت صادق حُبِّه لأطعته ... إنَّ المُحبَّ لمن يحبُّ مطيع



تعالى وفي الحديث « لَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً لَمَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعِي » ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ . . إلخ الآية .

وحقيقة الرابطة إلى رسول الله ﷺ أنْ يتوجّه السالك ويقابل لطائفه لطائف الرسول عليه السّلام ويستفيض منه بكمال الأدب والتضرُّع بلا واسطة إن كان من أهله وإلاّ فبواسطة المرشد « فتاوى العمرية » .

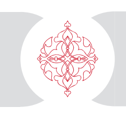
اعلم أنّ من جُمْلَة الأدلة الوَاضِحة في إثبات الرابطة قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ لأنّ الصلاة عليه لاستجلاب رحمة على أنفسنا وابتغاء الوسيلة إلينا كما ورد في الحديث « اِبْتَغُوا إلَى اللهِ تعالى الوَسِيلَةَ بِالصَلاَةِ عَلَيَّ » .

قال عياض الصلاة من الله رحمة لمن دون النبي وأما للنبي ﷺ فهي زيادة مكرمة وتشريف « شفاء شريف » . الصلاة من الله وصلة ومن الملائكة رفعة ومن الأمّة متابعة ومحبّة .

حكمة مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

وحكمة مشروعية الصلاة عليه لأنّ الاستفاضة في اقتباس العلوم اللدنية والمعارف الإلهية من روح رسول الله عليه السّلام تتوقف على حصول المناسبة الروحانية بين المستفيض وبينه عليه السّلام إذ هي أمور روحانية فلا بدّ من حصولها بينهما ولذلك شرعها فإنّ الصلاة والتسليم عليه بحضور القلب والمحبة الكاملة مع تدبّر معناهما والتفكّر في أنه على من يصلّي ويسلّم تستلزم التوجه إليه وتصوّره وتخيله بوجه مّا وربط القلب به لا محالة وهذا بَدِيهِيٌّ عند كل من له عقل سليم وطبع مستقيم إلاّ أن يكون القارئ جاهلاً لا يفهم ما يقول ولا يعرف اسم الرسول لأنّه إذا ذكر اسم شيء مّا أو رؤي بالعين عنده لا بدّ من تخيل مسمّاه وتصوّره سواء كان خيراً أو شرّاً وسواء كان بطريق المحبة أو بطريق البغض والعداوة لأنّ الإنسان إذا ذكر عنده واحد أو رؤي مثلاً كالسلطان أو العالم الفلاني أو الشيخ الفلاني أو البنت الفلانية أو اليهودي الفلاني لا بدّ من تخيّل صورة ذلك المذكور في قلب الإنسان أو في خزانة الخيال التي في ناصية الإنسان بين عينيه ودخول صورة شخصه فيه بحيث لا يمكن دفعه في ذلك الوقت أصلاً .

لكن إن كان التخطّر والتخيّل والتفكّر بطريق الشهوة والمحبّة المجازية تتولّد منه حرارة الشهوة حتّى يكاد ينزل المني بل ينزل بدوام تفكر المحبوبة وتخيلها كأنه جامعها .



وإن كان بطريق العداوة يتولّد منه البغض ويتزايد كلما خطر بباله وخياله وتنفر منه الطبع وتنقبض ويؤثّر في القلب تأثيراً بحيث يظهر تأثيره المضرّ إلى ظاهر البدن حتّى يمرض بسببه كما هو مشاهد .

وإن كان التخيّل والتصوّر والتذكّر والتفكّر بطريق الحبّ في الله والاستفاضة والاستمداد والتوسّل والتوسّط وطلب انعكاس الفيوضات الإلهية من قلبه إلى قلب المرابط المستفيض يتولّد منه أمور عظيمة روحانية مقبولة مرضية عند الله تعالى من الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله وانعكاس الفيوضات الإلهية والتخلّق بأخلاق شيخه ومرشده وتزايد المحبّة الإلهية والقرب إلى الله تعالى والوصلة والفناء في الله بعد الفناء في شيخه يعني بعد التخلّق بجميع أخلاق شيخه المستقيم المرشد وتحصيل رضاء الله تعالى لأنّ المريد إنما يحبّ شيخه بحبّ الله تعالى **فلو أعرض شيخه عن الصراط المستقيم أو ارتدّ والعياذ بالله فلا يُحِبُّه أصلاً بل يبغضه** .

حقيقة الرابطة

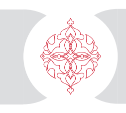
فإذا تحقّق هذا فقد تحققت الرابطة وحصلت **إذ هي عبارة عن المحبّة الكاملة** فيستلزم عليها بالضرورة التوجّه والتصوّر وربط القلب به وتذكّره على مقتضى « إذا أحبّ شيئاً أكثر ذكره » مع أنّ الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة وعالمين بمعنى اللغة والكلام فهل يُتصوَّر منهم أن يُصلُّوا على النبي عليه السّلام غافلين من غير تخيّل جماله واستحضار شخصه الكريم في قلوبهم وهو قرّة عيونهم وروح أنفسهم وهذا من قبيل المحال . كما

قال أهل النظر **الطلب بلا تصوّر محال** لأنّه توجه القلب إلى المطلوب . كما قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل السلام عليك وليصدق أملك في أنّه يبلغه ويردّ عليك ما هو أوفى منه .

وأما الصلاة على النبي ﷺ بلا محبة ولا استحضار شخصه ولا ملاحظة ذاته الكريم فقليل الفائدة بل كمشي الهائم . انتهى « الفتاوى العمرية » .

وفيه نعم مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود وصاحب المقام المحمود كذا في « رسالة الرابطة » لمولانا خالد .ولعلّ معناه انّ إحضار صورة الغير عند خطاب (السلام عليك) وإلاّ **فإن مطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب** كما قال حجة الإسلام الغزالي في باب الخشوع من « الإحياء » ما معناه فإن كان المصلّي لا يخشع في صلاته فَلْيُلاَحِظْ عنده أو خلفه أو أمامه رجلاً صالحاً يستحي منه من أستاذه أو شيخه وكأنه ناظر إليه فحينئذٍ يتمّ ركوعه وسجوده وخشوعه وحضوره بسبب اطلاع ذلك الصالح على صلاته . « إحياء العلوم » فراجعه إن كنت من المذكّرين .

وفي الحديث « اِسْتَحْيِ مِنَ اللهِ اسْتِحْيَائَك مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صَالِحِي عَشيرَتِكَ » .



وفي الحديث « عِنْدَ ذِكْرِ الصَالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ » . فكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتفكرهم مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ .

ونقول **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** فهل تكون القراءة بلا ملاحظة معنى بحيث لا يعرف توجُّه الضمائر ومرجعها فنلاحظهم ونذكرهم بالمحبّة الكاملة . وأما الشيطان في **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** وكذا اليهود والنصارى في ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فنذكرهم على طريق العداوة ونخيل صورهم حين ذكر اسمهم بالبغض والنفرة . انتهى .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه في « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » بما نصّه هذا **واعلم** أنّ معاشر النقشبندية والخواجكانية متفقون على أنّ الرابطة[1] أصل من أصول طريقتهم المنتسبة إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه معنعناً وهم أهل الله الكرام وأهل الأمانة والإحسان وصاحب الحقّ اليقين . انتهى .

وقال القطب الحقيقي خالد البغدادي في « رسالته » بعد كلام بما نصّه كلا إنّها يعني الرابطة أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبنديّة بل أعظم أسباب الوصول بعد التمسّك التّامّ بالكتاب العزيز وسنة الرسول عليه السّلام . **ومن ساداتنا** من يقتصر في السلوك والتسليك عليها . **ومنهم** من كان

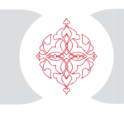
---

[1] فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة بل هو أصل الأصول « رماح حزب الرحيم » ١٦٣ ج٢ . من هامش « جواهر المعاني » فراجعه . وفيه في الفصل الخامس والثلاثين ما ينبغي مراجعته . فراجعه في ٢ من الجزء الثاني . (منه) .

يأمر بغيرها مع التنصيص على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى . **ومنهم** من أثبتها بنصّ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

فقال من ساداتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدّس سرّه ما حاصله **إنّ الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام ربّ العالمين الكون معهم صورة ومعنى** ثمّ فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة وهو عند أهله مشهور . وفي كتاب « الرشحات » بالتفصيل مسطور فكأنّهم لم يتصوَّروا معنى الرابطة اصطلاحاً وإلاّ لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته ليتأدّب معه ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتمّ له باستحضارها الحضور والنور وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور وهو أمر معلوم لا يتصوّر جحوده إلاّ ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتّسم والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرمان لأنّه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها بل واتّفقوا عليها كما لا يخفى على من تتبع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الأُنسية **وإلاّ فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع فقد قال بها مِن كلِّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً** . انتهى .

ثم ذكر وسَرَد بعده كل من قال بها من أئمة المذاهب مع تعيين المواضع ليراجع إليها من ليس في قلبه مرض وأطال في ذلك .



وقال العالم محمّد الحلمي (المدرّس بمدينة كوملجنه) وإن أخذ هذا القائل من الرابطة التي هي الاستمداد من شيخه ظاهراً وباطناً والمحبة الكاملة له معنى اتخاذ الشيخ مرشداً ومعبوداً بالذات ومقصوداً للمريد فهذا قول نشأ من عدم فرقه بين الرابطة المشروعة المقبولة عند أرباب الطريقة والشريعة وبين الرابطة المردودة التي سوَّاها بالصنم .

نعم إن كان معنى الرابطة بهذا المعنى فنحن معه في مردوديَّته وإيجاب الكفر لكن الرابطة التي من آداب الطريقة بمعنى ربط القلب ظاهراً وباطناً بشيخه ومرشده القريب وبواسطته إلى مرشد مرشده وبواسطته إلى مرشد جميع المرشدين نبينا محمد ﷺ وبواسطته إلى خالقنا وهادينا بالذات **لأنّ مقصود جميع المريدين والمسلمين الوصولُ إليه** والكلام في هذا المرام كثيرٌ لكن العارف المنصف يكفيه القليل والجاهل المعاند لا يقبل الحقّ وإن تُلي عليه الفرقان والتوراة والزبور والإنجيل . انتهى . فراجع « هدية الذاكرين » من هامشه .

وفي « الرحمة الهابطة » وقد ورد عليّ السؤال من بعض المعترضين وهو أن الرابطة التي تأمرون المريد بها لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب وهما أمران شرعيان لا بدّ لهما من دليل والأدلّة الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من الأدلّة راجعٌ إليها فما الدليل[1] على

---

[1] والطريقة عين الاتباع وعين الشريعة لا يحتاج [إلى] السند والدليل من غيرهم فإنَّ رجال الطريقة العلية ثقاة . « مجموعة الرسائل » . (ببلات القلزمي) .(هامش الأصل) .

* وقال رضي الله عنه في « لواقح الأنوار القدسية » وهي العهود الكبرى أُخِذَ علينا العهْد التامُّ العامُّ من رسول الله ﷺ أن لا نقبل من أحد من الأشرار هديَّةً كالظلمة وأهل البدع فضلاً عن الكفار « لأَنَّ المَرْءَ مَعَ

ندب الرابطة أو وجوبها وأيضاً لا شكّ أنّ النبي ﷺ شيخ الصحابة لأنّهم أخذوا عنه الأذكار وغيرها فلم يبلغنا أنه أمرهم[١] بتصوّر صورته التي هي أكمل الصور الإنسانية فلو أمرهم لنقل لا سيّما إذا كان ذلك واجباً لأنّ الواجب ممّا تتوافر الدواعي على نقله . انتهى .

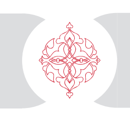
فأقول الجواب عن هذا السؤال من وجوه

الأول أنّ الرابطة التي نأمر المريد بأمر السادة النقشبندية (الذين هم قال الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الصغرى » عن طريقهم إنها الطريقة السالمة من كُدُورات جَهَلة الصوفية) مندوبة لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات ونفي الغفلة والوسائل لها حكم المقاصد والأمر الذي لم يَنْهَ عنه الشرع يَسُوغ فعلُه إما على طريق الإباحة إن أدى إلى مباح أو الندب إن أوجب مندوباً أو الوجوب إن حصّل واجباً لا يحصل بغيره فقد حصل لنا بالتجربة ونحن قوم

مَنْ أَحَبَّ » ولا نُحِبُّ أنْ نُحْشَرَ مع ظالم أو مبتدع ولا كافر . فإنَّ مَنْ قبل هديَّةَ هؤلاء مال بقلبه إلَيْهم ضرورةً إلاّ أن تحفه العناية بالسلوك علَى يد شيخٍ ناصحٍ يسلك به في حضرات التوحيد حتى يصير يشهد المُلْكَ لله عزَّ وجلَّ وحده ويتحقَّق بذلك ذوقاً أنَّه إذا تنزَّل لِنسب الشرائع بكسر النون أضاف الأمور إلى الخلق من غير وقوف معهم وما لم يسلك العبد على يد شيخ لا يشهد الملك ببادي الرأي إلاَّ للخلق ولا المنَّة في ذلك إلا لهم دون الله تعالى ولا يكاد يشهد المنَّة لله تعالى إلاَّ بعد تأمل وتفكر . . إلخ . « سبيل النجاة » ١٥ للنبهاني قدس سره .

* روى ابن حبان وأبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ المؤمنون بعضهم [لبعض] نَصَحَةٌ وادّون وإن بعدت منازلهم وأبدانهم والفَجَرَةُ بعضهم لبعض غَشَشَةٌ متخاونون وإن قربت منازلُهم وأبدانُهم » . « سبيل النجاة » ١٠ (هامش الأصل) .

[١] وأيّ أمر أبلغ من قوله عليه الصلاة والسلام « وكونوا عباد الله إخواناً » أي تعاونوا وتحابوا . « البخاري » . والمحبة ملزوم والرابطة لازمها على مقتضى « إذا أحب شيئاً أكثر ذكره » . فقولنا رابطة شريفة من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم . (ببلاة القلزمي) . (هامش الأصل) .



أكثر من عدد التواتر أنا إذا تَصَوَّرْنَا الرابطة انتفت عنّا الأغيار كلّها وبقي هذا الغير وحده فنعرض عنه حينئذ وهذا مثل إنسان له أعداء فَتَوَدَّد إلى بعضهم وسلّطه على باقيهم فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلاّ واحد فيقدر إزالته فيزيله وهذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأمّله فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع **لأن الرابطة ليست مرادة لعينها بل مرادةٌ لغيرها** .

الثاني قولكم (لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب) .

أقول لا نُسَلِّمُ أنّ غير الشارع إذا أمر بأمر أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب وأن الإنسان قد يأمر غيره بفعل مباح لغرض مّا من الأغراض له أو للمأمور وقد يأمر الطبيب المريض بشرب بعض الأدوية فإن كان امتثال أمر الطبيب واجباً أو مندوباً فما نستعمله من قبيله .

الثالث قولكم (وهما شرعيّان لا بدّ لهما من دليل)

أقول هذا بناء على قولنا (أنّ الرابطة توصل إلى أمر مندوب وما أوصل إلى المندوب مندوب) فالدليل موجود لا على قولكم (كل مأمور به لا يخلو من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب) لما ذكرنا من أن غير أمر الشارع قد يخلو منهما ويكون لغرض مّا .

الرابع قولكم (والأدلة الكتاب) .

أقول وهل يَعْزب عن الكتاب شيء وهو قد جمع كل رطب ويابس . قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ والوسيلة



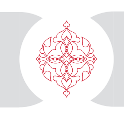
بالأعمال الصالحة ولا تكون الأعمال صالحة إلا بالإخلاص ولا يكون العمل خالصاً إلا إذا خلا عن الشوائب وقد حصل لنا بالتجربة أنّا إذا اشتغلنا بالرابطة خَلتْ أعمالنا عن شوائب الغفلة **والعمل في الغفلة غير مُعْتَدٍّ به** لأنه لا يُكْتَبُ للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة **وزوال الغفلة مقصود** وما أوصل إلى المقصود مقصود ومن لوازم زوال الغفلة الحضور وهو من أشرف الوسائل فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل[١] .

الخامس قولكم (والسنة) .

أقول وهل يشذُّ عن كلام النبي ﷺ وتحت كل كلمة من كلامه من بحار المعاني ما يتوصّل به إلى خير قال ﷺ « إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . والأعمال بدنية وقلبية فالحركات والتصوّرات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوِّي بها عليها فله ما نوى ولو لم يدرك مراده فكيف إذا تحقّق له حصول المراد ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان أنت جائع مثلاً لا يوجب له جوعاً فكذلك قول المعترض ما نرى صحة ما ترونه ما يوجب عدم صحّة رؤيتنا فعليه أن يقول ما تدَّعونه حقّاً فأنتم وشأنكم ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه

---

[١] من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . (ببلات القلزمي) . (هامش الأصل) .



السادس قولكم (والإجماع) .

أقول قد أجمع أهل من التصوف على عمل الرابطة وقرّره منهم الجمّ الغفير وهو عندهم طريق مشهور **وإجماعهم على عمل في مذهبهم حجة يجب قبولها على من تمذهب بمذهبهم** وسنورد أقاويلهم إن شاء الله ولا يسوغ لغيرهم الاعتراض عليهم بما لم يحط به علماً .

السابع قولكم (والقياس) .

أقول قال الفقهاء يسنُّ للمصلي أن لا يجاوز بصره إشارته وذلك لأنه أجمع للهَمِّ وأدفع للتفرق . فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور .

الثامن قولكم (فما الدليل على ندب الرابطة . . إلخ) .

أقول الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلد وإنما على المقلد تصحيح النقل فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفن فسيأتي على أنه لا يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية كما أنه لا يلزمنا لو طلب منا نصّ لمسألة في الفقه إيراد غير كلام الشافعية .

التاسع قولكم (لم يبلغنا . إلخ) .

أقول ما يلزم من عدم بلوغه إيّاكم عدم ثبوته ولا يلزم من جهلكم به عدم علم غيركم به ولعله بلغكم وجهلتموه ومرّ عليكم ولم تعرفوه وهل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي ﷺ في مرآة القلب الذي رآه مؤمناً أو انطباع



صورة الشخص المؤمن في ذهن النبي ﷺ ولولا ذلك لم يعدّ في الصحابة من رآه النبي ﷺ وهل أمر أوضح من دعاء النبي ﷺ إلى مبايعته المستلزمة للرؤية المستلزمة لانطباع الصورة وإذا انطبعت الصورة في الذهن ظهرت لرائيها في مخيلته مهما تذكّر المرئي شاء أو أبى ولو كان عدوًّا فاستحضار صورة النبي ﷺ وتخيُّلها الذي هو المراد بقولنا تصورها محبةً له واشتياقاً إليه لا يقول بمنعها إلا أحمق خبيث **فالأمر بمستلزِمٍ شيئاً مستلزماً شيئاً آخر أمر بذلك الشيء الآخر** .

العاشر قولكم (لا سيما إذا كان واجباً)

أقول لم يقل أحد من أهل التصوّف بوجوب الرابطة ولا باستحبابها لذاتها بل لما توصل إليه من المحابّ والمريد يلقَّنُ الرابطة وهو مخير في فعلها وتركها فإن ظهرت له فائدتها تأكّد عليه فعلها وإن تركها فقد ترك أدباً من الآداب هذا كلّه في البدايات وأما في النهايات فلا رابطة له سوى استغراقه في شهود من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فما هو صورة تمثُّل ولا تقابل ولا تقبّل .

الحادي عشر قدرنا مع هذا كله أنه لا دليل لنا ولا عمِل بهذا العمل أحد قبلنا وإنما نحن عملنا لما نرى من فائدته فهل ورد فيمن تصوّر صورة محبوبه وتخيّل أنه يقبّل يده أو رجله أو يضعه على رأسه أو جبهته أو يعتنقه أو يدخله في قلبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس شعر

لِـي سَـادةٌ مِـنْ عِزِّهِـمْ   أَقْـدَامُهُمْ فَـوْقَ الجِبَـاهْ
إنْ لَـمْ أَكُـنْ مِنْهُـمْ فَلِـي   فِـي حُبِّهِـمْ عِـزٌّ وَجَـاه

وإذا تقرّر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انتفاء الغفلة فالاشتغال بها من مهمات آداب الطريق إذ من المعلوم أنّ زوال الغفلة مطلوب وهو مفتاح السعادات وأن الحضور روح العبادات وزوال الغفلة لا يكون إلاّ بنزول رحمة الله تعالى على عبده **ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين** وَ« **عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ** » وذكرهم من لوازم محبَّتهم ومحبتهم فرض لقوله عليه السّلام « وَهَل الدينُ إلاّ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي الله » الحديث ومحبتهم محبة الله لقوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى « أَوْجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ . . . » الحديث وعداوتهم محاربة مع الله لقوله تعالى على لسان نبيّه ﷺ « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » الحديث فما استعمله الصفوة من عباد الله عين ما حكاه ﷺ . فالذي أرى أنك تصم سمعك عن الافتراء ولا تصحب من كذب وافترى وتصون لسانك عن المراء وتنقاد للحق وتخضع وفي رَدِّي عن طريقي لا تطمع وإن تعدل كلَّ عدل لا ينفع . انتهى ٢٢٧ .

ورأيت في « جواهر المعاني » ما نصه **فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره** . انتهى ١٣٣ ج١ .

وفي هذا إشارة إلى معنى الرابطة فتدبّره .

وفي « الرسالة الخالدية » في الآداب ثمّ يتوسل إلى مرشده ويتخيّله مُواجهاً وناظراً بجبهته إلى وجهه الشريف بل إلى ما بين عيْنيه لأنه محلّ الفيض ولا



يقطع النظر عنه إما بالرؤية إن كان من أهل الرؤية أو بالوجدان والإيقان إن لم يكن من أهل الرؤية **ثمّ لو لاحظ دخول الرابطة إلى خزانة الخيال وحفظ هنالك كربع ساعة لكان أقوى ولو لاحظ وجهه الشريف محاذياً إلى قلبه ونفسه ناظر إلى نفسه في وقت الذكر لكان أجمع وأبعد عن التفرقة**

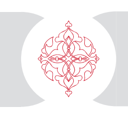
ويسمّى ذلك التخيل الرابطة الشريفة كما مرّ ذكره في الباب الأوّل وهو الركن الأعظم ومهذّب النفس ومهرب للشيطان ومنبع للفيض الإلهيّ من الفياض الحقيقي وواسطة للوصول إلى ربّه جلّ شأنه .

وقد قال بعض المحققين الرابطة خير من الذكر . أي بنسبة إلى حال بعض المبتدئين فلا بدّ من غاية الاعتقاد إلى حدّ لو يقبلني هو يقبلني الله تعالى ولو يطردني يطردني الله تعالى فلا نجاة لي في شيء غير قبوله ولا بدّ أيضاً من دوام التضرّع والالتجاء إليه للامتداد والقبول ولو أنزل الرابطة إلى قلبه لجاز أيضاً كما مرّ .

وبعد الرابطة (البازكشت) وهو أن يقول بالقلب أو مع اللسان أيضاً (**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**) ثلاثاً بكمال ملاحظة معناه ويتحرّى للصدق في ذلك القول وليستغفر من قول لو كان من الكاذبين . انتهى .

وفيه بعد ذلك وإن لم تندفع يعني الخطرة والوسوسة فيتوسّل بالرابطة واضعاً قدمه الشريف على قلبه لدفع تلك الوسوسة . انتهى .

وقال الغوث الأعظم الإمام الرباني أحمد الفاروقي مجدّد الألف الثاني



وينبغي أن يعلم أن سلوك هذا الطريق العالي برابطة المحبة للشيخ المقتدى به الذي سار في هذا الطريق بالسير المرادي وانصبغ بقوّة الجذبة بهذه الكمالات وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان نظره شفاء الأمراض القلبية وتوجّهه رافع العلل المعنوية الأقطاب والبدلاء فرحون بظِلال مقاماته والأوتاد والنجباء قانعون بقطرة من بحار كمالاته نور هدايته وإرشاده فائض على جميع الأشخاص كنور الشمس بلا إرادته فكيف إذا أراد . . إلخ . انتهى . من « الدرر المكنونات » في ٢٥٢ من الجزء الأول .

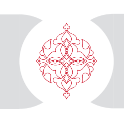
وفي « نور الهداية » ما نصّه والرابطة الشريفة عند هؤلاء السادة الأبرار والقادة الأخيار طريق مشهور وسنن بألسنة أهل السنة مشكور وقد قال عليه الصلاة والسّلام « لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ » وقال ﷺ « مَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ » رواه ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً . على أنه لا يجب علينا الاستدلال على الرابطة الشريفة بدليل لأن دليل من قلّدناه من العلماء العاملين والأولياء العارفين كافٍ وافٍ بالمقصود كما أن الأئمة المجتهدين أساطين الدين المتين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لا يلزم من قلدهم أن يطلب منهم الدليل باتفاق المحقِّقين .

ولا يخفى على اللبيب المنصف أنّ **ما استعمله الصفوة من عباد الله وأجمعوا عليه عين ما حثّ عليه سيّدنا رسول الله** ﷺ فهو حجّة لكل من انتظم في سلكهم واستوى في ركوب بحر الحقيقة على فلكهم فكيف يسوغ اعتراض الأخ المنكر لها تاب الله عليه على هؤلاء القوم منهم الجنيد والجيلي

والدسوقي والغزالي وأضرابهم ممن علا قدره ونما ذكره فإنهم في الحقيقة هم الذين قرّروا الرابطة الشريفة واستنبطوها بكيفيتها المنيفة وشيّدوها بالأدلة العقلية والبراهين النقلية لما ثبت عندهم بالوجدان الصحيح والنقل الصريح بأنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى .

قال سيدنا سفيان الثوري رضي الله عنه لا نجاة يوم يخسر المبطلون إلاّ للنبي أو تابع النبي أو محبّ له ولو أنّ عارفاً بالله تعالى في مشرق الشمس ينطق بحقيقة ورجل محبٌّ له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته وأنّ رجلاً ليعانق الرجل وإنّ بينه وبينه لأبْعَدَ ما بين المشرق والمغرب وقلب العارفين يكتب وقلب المريدين يكتب فيه . نقله الشيخ المحقّق حسين الدوسري البصري في « الرحمة الهابطة » .

وقال القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدّس الله سرّه **يا أولادي** إن صحَّ عهدكم معي فأنا قريب منكم فإن أخذتم عهدي وعملتم بوصيّتي وسمعتم كلامي فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات شيء تستخيرون به ربّكم فوجِّهوا وجوهكم إليّ وأطبقوا أعين حسِّكم وافتحوا أعين قلبكم فإنكم تروني جهاراً وتستشيروني في جميع أموركم فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه وليس هذا خاصّاً بي هو لكلّ شيخ صدقتم في محبّته قد يعلم ذلكم شيخكم وقد لا يعلمه هكذا جرت سنّة الله تعالى مع أوليائه . انتهى نقله الشيخ حسين الدّوسري في « الرحمة الهابطة » . وأقرّه الشعراني في « الطبقات الكبرى » .



وقال إمام العلماء وقدوة الأصفياء سيّد الطائفتين ومستند الفرقتين الجنيد قدّس الله سرّه في بيان شروط الخلوة ما نصّه **وأقرب الطرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الوقائع منه حتّى يفني بصره في تصرّف الشيخ** . انتهى . نقله الإمام العارف الشيخ محمود عزيز الرومي الاسكداري المشتهر بالهدائي قدّس الله سرّه في كتابه « جامع الفضائل وقامع الرذائل » .

وقال حجة الإسلام وقدوة الأنام سيدنا أبو حامد الغزالي قدّس سرّه في كتابه « المضنون الكبير »[1] في فصل الثامن من الركن الرابع ما نصّه **فصل**

---

[1] ويتوسّل إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين « بريقة » ١٨٥ ج٢ . وجوَّز في « البزازية » أن يقول بحرمة فلان وفي « المنية » وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول بل الاستحباب كما نقل عن بعض العارفين إذا سألتم من الله شيئاً فاسئلوه بي فإني أنا الواسطة الآن بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي من كانت له حاجة إلى الله فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثير في الكتب كـ « الحصن الحصين » . « بريقة » ٣٣٤ ج٢ .

والحكم خطاب الله المتعلق بفعل المكلّف . « الجوامع » . ويتناول الفعل القلبي الاعتقادي والقولي (منه) . ومن ثم لا حكم إلا لله . (منه) . فإن اقتضى الخطاب أي طلب كلام الله النفسي الفعل اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز تركه **فإيجاب** أي فهذا الخطاب يسمّى إيجاباً أو اقتضاء غير جازم بأن جوَّز تركه **فندب** أو اقتضى الترك لشيء اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز فعله **فتحريم** أو اقتضاء غير جازم بنَهْي مخصوص بالشيء **فكراهة** أو بغير مخصوص **فخلاف الأولى** أو اقتضى الخطاب التخيير **فإباحة والإباحة** حكم شرعي إذ هي التخيير بين الفعل والترك . (منه) .

والفعل كالطهارة سبباً كان أو شرطاً المقدور للمكلَّف الذي لا يتمّ أي لا يوجد الواجب كالصلاة المطلق إلا به واجب إذ لو لم يجب لجاز ترك الواجب المتوقِّف عليه . « جوامع » . وقال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى » والأعمال بدنية وقلبية .

والنص ما أفاد معنى لا يحتمل غيره كزيد فإنه مفيد للذات المشخَّصة من غير احتمال لغيرها . **والظاهر** ما احتمل مرجوحاً كالأسد . « جوامع » **ومدلول اللفظ** إما معنى جزئي أو كليّ . **الأول** ما يمنع



أمّا التقرّب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسّلام فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء عليهم السّلام والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين .

أما الاستمداد فهو بصرف همّة صاحب الحاجة باستلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همَّته مستغرقة في ذلك ويُقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سببٌ منبّه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمدّه تلك الروح الطيّبة بما يستمدّ منها ومن أقبل في الدنيا بهمّته وكليّته على إنسان في دار الدنيا فإن ذلك الإنسان يحسّ بإقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى بالتنبّه وهو مهيّء بذلك التنبيه فإن إطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة هل هو مثاب أو معاقب فإن النوم صِنْو الموت وأخوه فبسبب النّوم صرنا مستعدِّين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدّين في حالة اليقظة لها فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة ومات موتاً حقيقيّاً كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى وكما تؤثّر مشاهدة صورة الحيّ في حضور ذكره وخطور نفسه بالبال فكذلك تؤثّر مشاهدة ذلك

تصوره من شركة فيه **والثاني** ما لا يمنع كمدلول الإنسان . « جوامع » . **ولم يقل أحد من أهل التصوف بوجوب الرابطة ولا باستحبابها لذاتها بل لما توصّل إليه من المحاب فهل ورد فيمن تصور صورة محبوبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس . (قحي رحمه الله تعالى)** .

الميّت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه فإنّ أثر ذلك الميّت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظنّ أنّه قادر على أن يُحضر في نفسه ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظنّ خطأ فإنّ للمشاهدة أثراً بيّناً ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافاً ولا تخلو عن أثر مّا كما قال عليه الصلاة والسّلام « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلّيتُ عَلَيْهِ عَشْراً » و« مَنْ أَجَابَ الْمُؤَذِّنَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » و« مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » انتهى باختصار .

فإن قال المنكر لها – تاب الله عليه إنّ هذا النقل يوجب الارتباط بمن هو حيّ ويضعف الارتباط بغيره .

قلنا الارتباط إنما يكون بمن هو فان عن وجوده والارتباط بغيره لا يورث الفناء للسالك بل قد يورطه في المعاطب والمهالك كما أفاده حضرة سيدي العم في بعض مكتوباته فحيث تحقّقنا الفناء في شخص ارتبطنا به سواء كان حيّاً أو ميّتاً ولا فرق في ذلك عندنا إلاّ بمقدار ما ذكره حجة الإسلام فليعلم ذلك .

وممّا يؤيّد هذا ما قاله الإمام المحقق الشاه أحمد وليّ الله المحدِّث الدهلوي في « الحجة البالغة » إنّ الإنسان إذا مات كان لنسمته نشأة أخرى فينشئ قبض الروح الإلهي فيها قوةً فيما بقي من الحس المشترك تكفي كفاية السمع والبصر والكلام بمدد من عالم المثال أعني القوة المتوسطة بين المجرَّد

والمحسوس المنبثة في الأفلاك كشيء واحد وربما تستعدّ النسمة حينئذ للباس نورانيّ أو ظلمانيّ بمدد من عالم المثال ومن هناك تتولّد عجائب عالم البرزخ . انتهى .

كلام الإمام الرباني في الرابطة

وبرشح ما ذكره العلامة العارف الشيخ يونس الكردي الإيراني في « معرَّباته » (مراسلات برهان الولاية المحمدية وحجة الشريعة الأحمدية المبعوث الرحماني لتجديد الألف الثاني شيخ مشائخنا أحمد الفاروقي السرهندي) المعروف بـ(الإمام الرباني) ما نصّه فيستوي في هذه الطريقة في إفادتها الأحياء والأموات وفي استفادتها الشيوخ والصبيان **وذلك لأنّ سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي والتصبّغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات** فنظره شاف للأمراض القلبية وتوجّهه دافع للعلل المعنوية وارتباطنا حبِّيٌّ ونسبتنا انعكاسي وانصباغي لا يتفاوت في القرب والبعد وإذا كانت الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حُبِّيّاً وانعكاسيّاً وانصباغيّاً فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلونه وصبغه ساعة فساعة ويتنوّر بطريق الانعكاس بأنواره . انتهى ملخصاً .

وقال الإمام العارف بالله تعالى سيدي مصطفى البكري الصدّيق قدّس الله سرّه في « المنهل العذب » ما نصّه وحيث كان مقصود أهل الطريق من هذا الورد أي الستار المشاهدةَ والمراقبةَ وحصولَ الجمعيّة الباطنة بواسطة

الجمعية الظاهرة فاستماعه أرفع من قراءته وحده فإنّ تلاوته ذكر لسانيّ وذكر القلب أرفع منه وثمرته المشاهدة وهي المقصودة من المجاهدة وفي جمع الظاهر والباطن على الله تعالى سرٌّ كبيرٌ .

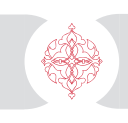
وقد أسَّس السادة النقشبندية طريقتهم على هذه الجمعية فيجتمعون على الشيخ ويتعلّقون بباطنه تعلّق الرضيع بأمِّه ويُقْبِلُونَ عليه ويتحلّقون بين يديه حتى يجعلونه فيهم قلباً ويتعشَّقون جميلَ صفاته وتختلف منهم المراقبة باختلاف الأحوال فمنهم المراقب لباطن الشيخ بشهود الحضرة ومنهم المشاهد لظاهره ومنهم المشاهد لخياله .

ويشتغل الشيخ لشهود الحضرة المحمّديّة والذات العلية الأقدسية ويستمدّ منها بواسطة النبي ﷺ ويفيض على حُضَّار مجلسه اللابسين من أثوابه وملبسه فعند ذلك تشرق فيهم تلك الإمدادات الربانية وتبرق عليهم بوارق هاتيك اللمحات الأقدسية فيستغرقون في حضور هذا المجلس المختصّ بالتطهير والتقديس عن رؤية أهل الكائنات **فهذه** جلسة المريد الصادق مع شيخه والإخوان كذا ذكره العالم الرباني سيدي الشيخ عمر جعفر الشبراوي قدّس الله سرّه في كتابه الجليل المسمّى بـ « مفتاح الأسرار على ورد الستار » .

وقال العالم الإمام والمحدِّث العارف الهمام سيدي الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندي العثماني معرِّب « النفحات » و« الرشحات » قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة بـ « التاجية الصغرى » ما نصّه وإذا فرغ من مهماته الدنيوية

يتوضّأ يعني المريد وضوءً جديداً ويدخل خلوته وأوّل ما يجلس يستحضر صورة شيخه . انتهى .

قال العالم العلامة قدوة العارفين وزبدة المحقّقين سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس الله سرّه في شرحه للرسالة المذكورة المسمّى بـ« مفتاح المعيّة » عند قول الماتن يستحضر صورة شيخه على أكمل الأحوال ليحصل له المدد منه فإنّ شيخه بابه إلى حضرة الله تعالى ووسيلته إليه كما قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ولا قدرة للسالك في ابتداء سلوكه أن يعرف ربّه حتى يسقط الواسطة بين الله وبينه وإذا لم يعرف ربّه لا يمكنه أن يشهده بقلبه إلاّ مخلوقاً حادثاً فإن شهده على أنه ربّه فهو من الكافرين نعوذ بالله تعالى فالواجب عليه أن يشهد شيخه ويتصوّر صورته حتى يستمدّ من الله تعالى بسبب تعظيم صورة شيخه المستمدّ منه تعالى ويبقى على ذلك حتى يحصل له الفتح الإلهي ونحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربّه هو الأكمل ولكن نعلم عن يقين علماً ذوقيّاً وجدانيّاً بحسب ما كنّا عليه أن هذا لا يمكن للمريد في ابتداء سلوكه أبداً بالضرورة فإنّ جميع الخواطر والمقاصد لا تقع إلاّ على مخلوق حادث يعرفه العارف ويجهله الجاهل وذلك المخلوق الحادث هو الربّ عند الجاهل لعدم معرفته ولا عذر في الكفر **فيجب عليه اتخاذ الوسيلة** ليفرق بين الحادث المقدور على إدراكه والقديم المعجوز عن إدراكه فرقاً شهوديّاً ذوقيّاً لا خياليّاً ثم بعد ذلك يسقط الواسطة . ولهذا قالوا (**من لا شيخ له فشيخه الشيطان**) . ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتّخذ له شيخاً متخلّقاً



بأخلاق الرحمن قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ انتهى .

وقال القيوم الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدّس الله سرّه في المجلد الأول من كتاباته الفارسية ما هذا ترجمته **اعلم أن المقصد الأقصى والمطلب الأسنى الوصول إلى جناب القدس جلّ وعلا** ولما كان الطالب في الابتداء بواسطة تعلقات شتى في غاية التدنس والتنزل وجناب قدسه تعالى في كمال التقديس والتنزيه والمناسبة التي هي سبب الإفاضة والاستفاضة بين الطالب والمطلوب مسلوبة فلا جرم أنه لا بدّ من مرشد كامل بصير بالطريق يكون برزخاً ويكون له حظّ وافر من الطرفين حتى يصير واسطة لوصول الطالب إلى المطلوب وبقدر ما يحصِّل الطالب المناسبة بينه وبين المطلوب يخرج المرشد بذلك المقدار نفسه من البين ومتى حصل للطالب المناسبة التامة خرج المرشد من البين بالكلية وأوصله إلى المطلوب من غير توسّطه ففي الابتداء والوسط لا يمكن شهود المطلوب دون مرآة المرشد وفي الانتهاء يتجلّى له جمال المحبوب دون واسطته ويحصل له الوصل العريان والذي قال لو خطر المرشد في ذلك الوقت لقطعت رأسه من جسده من الجنون فإن أرباب الاستقامة لا يقولون ذلك ولا يسيئون الأدب هنالك بل يطلبون مراداتهم من بركات المرشد . انتهى من « زبدة الوسائل الفاروقية وعمدة المسائل الصوفية » أعني معربات العارف الكبير الشيخ يونس بن عبد الرحمن الكردي الإيراني نزيل دمشق الشام قدّس الله سرّه .

وقال القطب الغارف[١] من بحر حقّ اليقين ابن عطاء الله الإسكندري والإمام تاج الدين الشاذلي قدّس الله سرّه في كتابه « مفتاح الفلاح » في آداب الذكر قالوا يعني المشائخ وإن كان أي المريد تحت نظر شيخ يخيل شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهاديه و(أن) يستمدّ أول شروعه في الذكر من همته معتقداً أن استمداده منه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . انتهى . نقله الدوسري في « الرحمة الهابطة » .

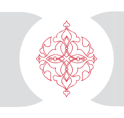
التصور والتصوير

وقال العالم الإمام والفاضل الهمام مولانا الشيخ أحمد سعيد صاحب زاده المجددي قدّس الله سرّه في كتابه « الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة » الذي ترجمه من اللغة الفارسية حفيده العارف المحقق مولانا محمد معصوم نجل الشيخ عبد الرشيد العمري المجددي قدّس الله سرّهما ما نصه **اعلم** أن التصوير في الشريعة المحمدية ممنوع والتصوّر محمود والمنع من التصوّر ما وجدناه في كتاب قطّ بل حصول العلم بأسرها موقوف على التصوّر كما لا يخفى على الأذكياء **وفي حفظ صورة الشيخ في حال الذكر عين حكمة التذكير لأنّ المذكر واقف لديه لا يتركه غافلاً عن الله سبحانه وتعالى لمحة واحدة** ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ .

وقال المحقق الشيخ عبد الحق الدهلوي في رسالته **الرابع** أن يستمدّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه ولو نادى شيخاً بلسانه في الاستعانة جاز . انتهى .

---

[١] وفي نسخة العارف .



قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدّ منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبيّ ﷺ دائم التوجّه إلى الحضرة الإلهية فالذاكر إذا صوّر صورة شيخه في قلبه تفيض الأمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيّد المرسلين ومن قلب سيّد المرسلين على قلوب المشائخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على قلبه استعمال الآلة **إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يؤثّر ويقع محصلاً للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر** قال ﷺ « الذكْرُ سَيْفُ اللهِ » ولكن ليس للسيف ضارب إلاّ لقوة مستفادة من حضرة بني السيف فإذا استمدّ من شيخه جاءه المدد لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ .

الخامس أن يرى استمداده من شيخه وهو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . انتهى من عينه .

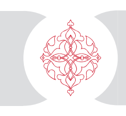
وقال نور سلالة الهاشمية الكامل السيد مشيخ بن السيد صادق باعبود الباعلوي قدّس الله سرّه المتوفى سنة سبعين ومائة وألف في رسالته « النفحة المحمّدية » في الباب الثاني منها ما نصّه فإن حصل للمريد فتور فليجدِّد الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالتجلي الذاتي فإن رؤيته بمقتضى « هُم الذينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب « هُمْ جُلَسَاءُ اللهِ تَعَالَى » تنتج صحبة المذكور وإذا تيسّرت صحبة مثل هذا العزيز الوجود ورأى المريد أثره في نفسه فينبغي أن يحفظ ذلك الأثر

المذكور وإن لم يحصل المريد من صحبة ذلك الشيخ أثراً في نفسه ولكن حصل له محبّة وانجذاب إلى الله تعالى فينبغي للمريد أن يحفظ صورة شيخه في الخيال ويتوجَّه إلى القلب الصنوبري حتى تحصل له الغيبة والفناء عن النفس . انتهى .

وقال العالم الإمام والكامل الهمام الشيخ محمّد بن سليمان الحنفي البغدادي في كتابه « الحديقة الندية والبهجة الخالدية » عند بيانه طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند الأئمة النقشبندية ما نصّه **الطريقة الثانية الرابطة** وهي طريق مستقل للوصول وهو عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته فرؤيته بمقتضى « هُم الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تحصل بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثّ على الجليس الصالح .

والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المَرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ » فبحفظه الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله .

وقيل الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله تعالى وإن وجد في استحضار الصورة سكراً وغيبة يترك الالتفات إلى الصورة فيكون متوجّهاً إلى ذلك الحال كما نقل في مقامات الإمام نقشبند قدّس الله سرّه أنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة وكان يوماً في مجلسه متوجّهاً إلى الصورة



فوجد أثر الغيبة وما التفت إلى الغيبة فقال حضرة الخواجه نقشبند خَلني وكن متوجّهاً إلى تلك الغيبة لأنّ زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمّونه **زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم . انتهى .**

قلت ومما يرشح هذا أيضاً ما نقله الإمام العارف الخواجه صلاح بن المبارك في كتابه « المقامات البهائية » عن قطب البلاد وغوث العباد صاحب العلم والبَنْد مولانا وسيدنا الشيخ محمّد بهاء الدين المعروف بشاه النقشبند قدّس الله سرّه أنه كان يقول **الطريقة كلها أدب وشرط طالب هذا الطريق ثلاثة** آداب .

أدب بالنسبة إلى الحق سبحانه وتعالى وأدب بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ وأدب بالنسبة إلى مشائخ الطريق .

أما الأدب الذي بالنسبة إلى الحق تعالى فهو أن يكون في الظاهر والباطن مستكملاً للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي معرضاً عن السوى بالكلية .

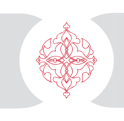
وأما الأدب الذي بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ فهو أن تدخل نفسك بالكلية إلى مقام ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ وتُرَاعِيَ ذلك في جميع الأحوال على سبيل الوجوب وتعلم أنه واسطة الحق تعالى في جميع الموجودات كلّ شيء وكلّ أحد منطرح على أعتاب عزّته .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى مشائخ الطريقة فهو واجب ولازم على الطالبين لأنهم رضي الله تعالى عنهم بواسطة متابعة النبي صلّى الله تعالى عليه

وسلّم وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق فينبغي للمريد أن يكون في الغيبة والحضور مراعياً لأحوالهم مقتدياً بهم متمسكاً بأذيالهم . انتهى .

وقال المحقق الهمام والمدقق المقدام قطب العارفين سيدي الشيخ زين الدين الحافي قدّس الله سرّه في كتابه « الوصايا القدسية » ما نصه **والثاني** دوام الخلوة يدخل فيها كما يدخل في المسجد مُبَسْمِلاً مستعيناً من أرواح المشائخ بواسطة شيخه مخلصاً لله منقطعاً عما سواه إليه بجعل الخلوة كأنها قبره يدخل فيها ذاهباً إلى الله تاركاً ما سواه بقلبه أيضاً ويقعد مربعاً أو كما يقعد في التشهد أو محتبّياً حَسْبُمَا يستريح قلبه دون تألّم الأعضاء المشوِّش للقلب متوجّهاً إلى القبلة غير مستند إلى جدار الخلوة ولا مُتَّكِئ مطرقاً رأسه تعظيماً مغمضاً عينيه ملاحظاً قوله تعالى « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي » ثم جعل خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهو معه بمعناه وروحانيته فإنَّ من **هو شيخ حقيقة فلروحانيته رفيقية متعلقة بروحانية كل واحد من مريديه ولو كانوا ألوفاً**

ثمّ قال بعد كلام . **والسابع** دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم ويكون في اعتقاده أنّ هذا المظهر هو الذي عيّنه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة عليّ ولا يحصل لي الفيض إلاّ بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا من المشائخ مملوءة **ومتى ما يكون في باطن المريد تطلّع إلى غير شيخه لم ينفتح باطنه إلى الحضرة الوحدانية** فالإنسان في الجهات وله بدن وروح والله سبحانه وتعالى منزّه عن الجهات في حكمته اقتضت الاستفاضة ممن في الجهة عن الفياض الحقّ الذي ليس في الجهة أنْ



عيّن للبدن الإنساني المركّب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون توجّهه من تلك الجهة الواحدة إلى الحضرة الواحدية وهي الكعبة في عالم الأجسام والأبدان وعيّن للروح الإنساني الذي هو مهبط أنوار الصفات الإلهية جهة واحدة يكون توجّهه إليه تعالى من تلك الجهة وتلك الجهة هي روحانية رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في عالم الأرواح وكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة لا يحصل التوجّه إلى الله تعالى إلاّ باتباع رسوله والتسليم له وربط القلب بنبوّته وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء وأنهم وإن كانوا أنبياء الله **وكلهم على الحق ولكن لا يحصل من الله تعالى فيض إلاّ من ارتباط القلب بمحمّد** ﷺ فبتوجّه البدن إلى الجهة الواحدة وبتوجّه الروح إلى الجهة الواحدة حصل للإنسان استعداد استفاضته من الحضرة الوحدانية .

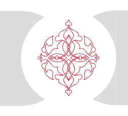
ومن هاهنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلّق بالاستفاضة شرط وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشائخ في كتبهم « إن الشيخ في قومه كالنبي في أمته » **فلا بدّ للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أنّ الفيض لا يجيئ إلاّ بواسطته** وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد بهم كلهم ويدعو لهم لكن استمداده الخاصّ واستفاضته يكون من روحانية شيخه وحده ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّ شيخه متعلق مستمدّ بشيخه وشيخُه أيضاً هكذا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فهو مستمد من رسول الله ﷺ حقيقة وهو من الحق جلّ اسمه . هكذا جرت سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة بل هو أصل الأصول ولهذا بالغ المشائخ قدّس الله أرواحهم في رعاية هذا الشرط حتى قال نجم الدين قدّس الله سرّه أنه كالأستاذ بالنسبة إلى الأدوات في صنعة المرآة وكما أن المطرقة والسندال والمنفخ والنار وغيرها إذا جمعت ولا يكون ثَمَّة أستاذ يصنع المرآة لا يتحقق وجود المرآة كذلك الشرائط السبعة (الجنيدية) للخلوة لا يتصفّى بها مرآة القلب بدون ربط القلب مع الشيخ **وقد جرّبناها فوجدناها كما قال قدّس الله سرّه وأكثر المريدين إذا انقطعوا عن الفيض والترقي لا ينقطعون إلاّ من هذه الجهة أعني عدم ربط القلب بالشيخ بالتسليم والإذعان والمحبة الصادقة** والامتنان . والاعتراض يسدُّ باب الفيض . انتهى .

وقال العالم الباهر والعامل الفاخر الخواجه محمّد باقر بن شرف الدين الحسيني العباسي اللاهوري في كتابه « كنز الهدايات » نقلاً عن قطب دائرة العلوم ومركز إحاطة المنطوق والمفهوم منار الأولياء العروة الوثقى شيخ مشائخنا مولانا وسيدنا الخواجه محمد الفاروقي المجددي المشهور بالإمام معصوم قدّس الله سرّهما ما هذه ترجمته **مدار الوصول**[1] **إلى درجة الكمال مربوط برابطة المحبة للشيخ المقتدى به** فإن الطالب الصادق من طريق محبّة شيخه يأخذ من باطنه الفيوض والبركات وينصبغ ساعة فساعة بلون الشيخ وبتلك المناسبة المعنويّة قالوا **الفناء في الشيخ مقدمة الفناء الحقيقي** والذكر المجرّد عن الرابطة المسطورة وعن الفناء في الشيخ ليس موصلاً

---

(١) الرابطة بلا ذكر توصل إلى الله والذكر بلا رابطة لا توصل .



وإن كان الذكر من أسباب الوصول ولكنه في الغالب مشروط برابطة المحبة للشيخ والفناء فيه .

نعم هذه الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة وتوجّه الشيخ والتفاته من غير التزام طريق الذكر موصلة

وأما في السلوك والتسليك الاختياريَّيْن المربوطَيْنِ بطريق آخر فمدار الأمر في ذلك على الوظائف والأوراد والأذكار وابتناء المعاملة على الرياضات والأربعينيات فليس للطالبين رجوع إلى شيخ الطريقة بتلك المثابة .

وأما في هذه الطريقة التي هي طريقة الصحابة الكرام عليهم الرضوان فالإفادة والاستفادة انعكاسيان فيكفي في ذلك صحبة الشيخ المقتدى مع رعاية الآداب .

وأمّا وظائف الأذكار والطاعات فمن الممدّات والمعاونات **وقد كانت صحبة خير البشر صلّى الله تعالى عليه وسلّم بشرط الإيمان والتسليم والانقياد كافِيَةً في حصول الكمالات** ولأجل ذلك صار الوصول في هذه الطريقة أقرب وتساوت في أخذ الفيوض والبركات من الشيخ الكامل الصبيانُ والكهولُ والشيوخُ والأحياء والأموات والرياضة في هذه الطريقة العالية المتضمّنة اندراج النهاية في البداية إنما هي **اتباع السنّة السَنِيَّة واجتناب البدعة غير المرضية . انتهى .**

وقال الإمام العالم المحقق والهمام العامل المدقِّق تفتازانيُّ أَوَانِهِ وجرجاني زمانه ضوء الشمس والقمر الشيخ نعمة الله بن عمر في رسالته التي ألّفها في

زمان دولة ساكن الجنان المرحوم السلطان سليم خان لإسعاف العارف الإمام والعلاّمة الهمام السيد أحمد المدني الشهير بجَمَل الليل المسمّاة بـ « الرسالة المدنية في طريقة السادة النقشبندية » ما نصّه فإن خطر في قلب المريد صورة الشيخ في أثناء الذكر بسبب كثرة المحبّة له فليجعل صورته أيضاً في القلب لأنه يضمحلّ ويمحو بسبب غلبة الذكر الإلهي ويبقى الذكر فقط ثم يحصل فيه الحضور والنسبة الذاتية بسبب التوجه إليه . فهذه النعمة منوطة بكثرة الصحبة مع الشيخ وبالرابطة له فلا يفارق عن صحبته إلاّ بإذنه . **وإذا تأمّلت مجرّد ذكر القلب لا يعدل عليه الشيء** فهذه النعمة ستحصل بالمحبّة بين المريد وشيخه من الجانبين **لأنّ الفناء في الشيخ مقدّمة على الفناء في الرّسول عليه السّلام والفناء في الرسول عليه السّلام مقدّمة على الفناء في الله والبقاء بالله** . انتهى .

وقال العالم العامل والإنسان الكامل صاحب التأليفات العديدة والتصنيفات المفيدة التي هي تنوف عن المائة والثلاثين تأليفاً كما نصّ على ذلك هو بخطّه مولانا الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي في كتابه « مرآة العرفان ولبّه » شرح رسالة « مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » للشيخ الأكبر قدّس الله سرّهما بعد ذكر كيفية قطع صفات النفس السبعة في الطريقة النقشبندية ما نصّه وقطعها في بعض الطرق بالتنقل في الأسماء السبعة وفي بعضها بتوجه الشيخ للمريد كطريقة الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه الأفخر وفي بعضها بنظر الشيخ للمريد نظر محبّة كطريقة سيّدي الشريف العلوي والقطب النبوي السيد أحمد البدوي قدّس الله تعالى سرّه وفي بعضها بفيضان العلم

بالمحاذات التامة الصحيحة كالطريقة الأحمدية والخالدية فيمتلئ المريد علماً بالمحاذات وإن لم يسمع ما يقوله الشيخ كما كان يقع وقت حضور درس العلم عند شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ خالد ضياء الدين فكنت أَسْتَغْرِقُ في حضرته لا أسمع ولا أرى وعند حضوري إلى المدرسة البدرئية في دمشق المحمية يسألني بعض العلماء عما قرّره الشيخ في الدرس فأجد ما قاله وزيادة في حفظي فأقرِّر له ذلك فيتعجب . انتهى .

وقال العالم العارف علي بن عبد النبي العشاقي في رسالته « الحبل المتين الموصل للطالب إلى رضا ربّ العالمين » مانصّه **الطريق الثالث طريق** الرابطة **وهي أن يربط السالك قلبه إلى مرشد كامل عالم عامل** ويكون كامل المحبة تام الإخلاص والانقياد له فإنه رفيقه ودليله والهادي له إلى الحق والسالك يُطْلَب منه أن ينقاد إليه ولا يعترض عليه بما لا يظهر له سرّه فإنّ ملاقاة المريد للشيخ كملاقاة موسى للخضر على نبيّنا وعليهما الصلاة والسّلام وحالهما فلا ينبغي له أن يعارضه فيما ظهر له حتى تلوح له الحكمة منه على أن الشيخ الكامل بسبب علمه وعمله وقرب منزلته عند الله تعالى بمنزلة البحر فلا يتكدّر بشيء . وأما المريد فهو كالحوض الصغير يتكدّر ويتغيّر بأدنى الشيء فلا يستنكر صورة مّا من الشيخ بل يسلّم له جميعَ ما يصدر منه حتى يكشف الله تعالى له عن سرّ ذلك وسببه ومتى ظهر السبب بطل العجب .

ولا بدّ للسالك أن يقدم أستاذه على أبيه ويحبّه فوق محبة أبيه وقد قال بعض الفضلاء **حق الأستاذ آكد من حق الوالد فإن الوالد وسيلة إلى وجود صورة الإنسان والأستاذ وسيلة إلى التحقق بحقيقة كمال الإيمان** . انتهى .

وقال العلامة المتبحر الشهاب أحمد بن حجر المكي الهيتمي في شرح « الهمزية » عند قول الناظم

وَاملأ السَّمْـعَ مِـنْ مَحَاسِنَ يـمْـلي　　　هَـا عَـلَـيْـكَ الإِنْـشَـادُ وَالإِنْـشَـاءُ

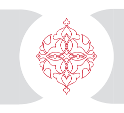
ما نصه فإنها تحدث للسامع سكراً ورائحة وطرباً وتحرِّك النفسَ إلى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيُّلُ المحبوب وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وألذّ من عناق الشواب . انتهى .

أقول وقد جرى على ذلك أيضاً الإمام الكبير والمفسّر الشهير الشيخ سليمان الجمل في حاشيته « الفتوحات الأحمدية على متن الهمزية » عند قول الماتن البيت المذكور بما نصّه **أحدهما** أنها في نفسها توجب لذة قوية **الثانى** أنها تحرّك النفس إلى جهة محبوبها فيحصل الميل للمحبوب وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى من لذّة عناق الشواب . انتهى . وناهيك بهذين الإمامين من حجّة وأيّ حجّة فإنّ من تأمّل تقريرهما بعين الإنصاف ظهر له أنهما كماء نيسان[1] لأولياء الرابطة الشريفة في قلب الصَدَف وكما يحصل في قلب الأفاعي لمنكريها ممن صدّ عنها وصدف فلا تغفل .

---

[1] من الأمثال المشهورة (ماء نيسان يحيي الإنسان) وهو ينبت اللؤلؤ في الصدف .

وأيضاً فقد ذكر شيخنا الجليل القاضي الشرعي النبيل أستاذنا السيد الشيخ محمد مرشد عابدين حفظه الله وأمتع بحياته في كتابه « الأدعية والأوراد والذكر » ما نصُّه في كتاب « الدور العالي شرح إرشاد المتجلِّي عن سنن النبي العالي » للشيخ عثمان وهبي الفونبوي عنوان



وقال العالم الرباني والعارف الصمداني سيدي الشيخ محمد المفتي الخادمي قدّس الله سرّه في رسالته العلية في آداب الطريقة عازياً إلى « التاجية » بما نصّه إذا عرض لقلب الذاكر في أثناء ذكره تفرقة أو وسوسة أو قبض فيغتسل بالماء البارد أو يتوضّأ ويصلي في خلوته صلاة الحاجة ويستغفر ويدعو ويتوجّه لحاله وإن لم يندفع فيتخيل صورة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم أو صورة شيخه . انتهى .

قال العالم الإمام والكامل الهمام المحقق البياني وحياة سرّ روح المعاني مفتي الأنام المستمدّ من الفيض القدوسي[1] خاتمة المفسّرين أبو الثناء الشهاب محمود الآلوسي في كتابه « الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد » مستطرداً من بحث يتعلّق بنفي الخواطر عند قول الناظم

وَمَـنْ قُـدْوَةُ التعْرِيفِ وَالكَشْـفِ بَعْدَهُ وَمَــنْ لأَبَالِيــسِ المَـخَـايِــلِ طَـارِدُ

فائدة جليلة في ماء نيسان نَسيان (بالفتح) سابع الأشهر الرومية محسوب من تشرين الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال بينما نحن جلوس ذات يوم إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فقال « ألا أعلِّمكم دواءً علَّمني إيّاه أخي جبريل عليه السلام حيث لا تحتاجون معه إلى طبيب » فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان الفارسي وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فما ذلك الدواء يا رسول الله فقال لنا « تأخذون من ماء نَيسان ويقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرَّة وآية الكرسي سبعين مرَّة وقل يا أيّها الكافرون سبعين مرّة وقل هو الله أحد سبعين مرَّة وقل أعوذ بربِّ الفلق سبعين مرَّة وقل أعوذ بربِّ الناس سبعين مرة و(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم) سبعين مرَّةويصلّي على النبيّ ﷺ سبعين مرَّة ويشرب من ذلك الماء سبعة أيام متوالية بكرة وعشيَّة والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لقد أخبرني جبريل عليه السلام عن الذي يشرب من ذلك الماء أنه يذهب كل داء من جسده ويخرج الأذى من عروقه وأعضائه وعظامه وإن كان به صداع وإن كان به وجع العين يقطر فيه من ذلك الماء . وإن شربت منه امرأة عقيمة حملت بإذن الله تعالى » . انتهى .

[1] وفي نسخة القدسي .



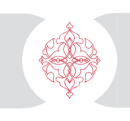
ما نصّه وأما خاطر الشيخ فهو إمداد صاحب الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب مشتملاً على كشف معضل وحلِّ مشكل في وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ وذلك داخل تحت الخاطر الحقّاني **لأنّ قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب وكل لحظة يصل إمداد فيض الحقّ سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ** .

ثمّ قال بعد كلام **ولنفي الخواطر أسباب كثيرة** .

منها إحضار صورة الشيخ على الوجه الذي سمّوه بالرابطة قيل هو من أعظم الأسباب

ومنها إدامة النظر إلى شيء واحد فإن ذلك يورث الذهول وفيه سدّ لباب الخطرات إلى غير ذلك . انتهى .

قلت فانظر إلى هذا التحرير من هذا الإمام النحرير ومن تأمّل ذلك وتحقّق ما هنالك أسقط ما وقع من سؤال نجله وتبيّن له حقيقة انحرافه وميله وعلم أنّ ذلك ما هو إلاّ نزغة وَهَّابِيَّة وتسويلات غير مرضية وحسبك دليلاً على تخطئته ولو رجع إلى أقوال والده قدّس الله روحه لكان في غنى عن السؤال والجواب والظاهر أنه لم يحط به علماً وأغرب من هذا كلّه صدور ذلك السؤال بهذا التعبير من مثل هذا الماجد إلى أمير « بهوبال » الذي شذّ عن مذاهب الأئمة وذهب إلى الحجاز معرضاً عن زيارة شفيع الأمة كما أفاده الإمام الهمام المولوي عبد الحقّ الكنهوري في كتابه « تذكرة الراشد بردّ تبصرة الناقد » في ردّ على تلفيقات صديق حسن خان . ومن كان في ريب من



حقيقة حاله وهو لما بينّاه جاحد فليرجع إلى الكتاب المذكور ليكون بشأنه خبيراً بصيراً وكفى بربّك هادياً ونصيراً .

وقال الإمام المحدّث الشاه أحمد وليّ الله الدِّهلوي في رسالته « القول الجميل » ما يناقض ما نقله عنه صاحب التاج المكلّل من الرسالة المذكورة أيضاً في موضعين فلا بأس بإيراد شيء منها ليكون المطلع على بصيرة ويتَّضح له الرشد من الغيّ . وهذه عبارته **وثالثها** الرابطة بشيخه **وشرطها** أن يكون الشيخ قويّ التوجّه (دائم البادداشت) أي دائم الحضور مع الله تعالى . فإذا صحبه المريد خلّى نفسه عن كلّ شيء إلاّ صحبته وينتظر ما يفيض منه ويغمض عينيه ويفتحها وينظر بين عيني الشيخ فإذا أفاض شيء فليتّبعه بمجامع قلبه وليحافظ عليه وإذا غاب الشيخ عنه تخيّل صورته بين عينيه بوصف المحبّة والتعظيم فتفيد صورته ما تفيد صحبته .

سمعت سيّدي الوالد يقول يجب على السالك إذا كان على هيئة وحصل له شيء من هذا المعنى أن لا يغيّر تلك الهيئة فإن كان قائماً لا يقعد وإن كان قاعداً لا يقوم . انتهى بحروفه .

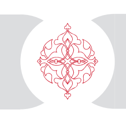
قلت وقد شيّد أركان هذا التقرير نَجْلُهُ العالم المحقق والعامل المدقق محدّث الديار الهندية وصاحب « التحفة الإثنى عشرية » المفسِّر الوجيز مولانا الشاه عبد العزيز قدّس الله سره كما نقله عنه الفاضل الشيخ صادق المدارسي الهندي في زوائده الواقعة على « القول الجميل » بما نصّه فالحقّ أنّ هذه الطريقة أقرب للمريد ولو لم يكن هو صاحب علم وفهم فيتصرّف فيه

شيخه بمزيد محبّته فيه ورابطته معه لأنه قال مشائخ الطريقة **كن مع الله وإن لم تكن كن مع من كان مع الله** وقال تبارك وتعالى في كلامه المجيد ﴿كُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فيها إشارة إلى الرابطة بشيخه إذا كان الشيخ كاملاً واصلاً للشهود الذاتي **فيحصل بتوجّهه في أقرب زمن بأسهل طريق ما لا يحصل في الزمن الطويل بعد كلّ صعب** . انتهى . **فانظر** رحمك الله إلى هذا الكلام من هذا العالم الهمام .

وإذا تأمّلت هذا المقال وأمعنت فيما قال أسقطت ما تورّك عليه صاحب « التاج المكلل » وعدلت إلى القول الثاني وهجرت القول الأول ونحن إن أخذنا بكلامه وعملنا بمقصده ومرامه نأخذ بالثاني وإلاّ فلا . فتأمّل .

وقال الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة الأردبيلي شارح « المشكاة » في « رسالته المكية » ما نصّه **الشرط السابع** دوام ربطة القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه من جهة الإرادة التامة لأنه الرفيق في الطريق . قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ وَقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ .

ثمّ قال فصل على المريد أن يتيقن أنّ روحانية الشيخ غير متحيّزة بموضع دون موضع وكل ما لا يكون متحيّزاً استوت عليه الأمكنة كلها ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيّتها والبعد إنما يتعلق بالمريد فإذا تذكّر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه



فتعلّق به قلبه فاستفاد منه وإذا احتاج المريد الشيخَ ليحلّ له إشكال واقعته يستحضره بقلبه ويسأله عما يشاء هذا لا بلسان الظاهر بل بلسان القلب فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال وإنما تيسّر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب وينفتح له طريق القرب إلى الله تعالى فيجعله محدّثاً . انتهى . نقله الإمام الدوسري قدّس الله سرّه في « الرحمة الهابطة » .

وقال الإمام الأوحد والعالم المفرد المحقق السري سيدي الشيخ حسين بن أحمد الخالدي الدوسري قدّس الله سرّه في الرسالة المذكورة ما نصّه **اعلم** أيها الأخ وفّقك الله لسلوك الصراط المستقيم وعصمني وإيّاك من الشيطان الرجيم **أن الرابطة عبارة عن تعلّق القلب بشيء على وجه المحبّة** وهذا التعلّق تارة يكون محموداً وتارة يكون مذموماً وتارة يكون مباحاً لأنه لا يخلو إما أن يكون مأموراً به أوْ لا . **فالأوّل المحمود** كحبّ الله وحبّ رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم والحبّ في الله وحبّ ما يقرّب إليه . **والثاني** إما أن يكون منهيّاً عنه أو لا . **فالأوّل مذموم** كحبّ المحرمات والمكروهات وإن لم يترتب على المكروهات عقاب لأنه يترتب عليها عتاب . **والثانى المباح كحبّ الإنسان أهله وولده بالطبع الجبليّ لا انفكاك لأحد عنه .**

فقد شمل هذا التقسيم الأحكام الخمسة فإن المحمود يندرج فيه الواجب والمندوب والمذموم يتضمّن الحرام والمكروه والمباح معلوم دخوله تحت غير المنهي عنه وهو قولنا (أوْ لا) فتعلّق القلب حاصل لكلّ إنسان فلو تنبّه

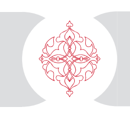


المنكر لعلم أن ما ينكره عين ما يستحضره وأنّ الذي يجهله هو الذي يفعله بل ما يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله إيّاها من إساءة الأدب مع الله تعالى ما لا يمكن جحده ولعلم أنه يتأكد عليه أن يعمل عملاً يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا يشعر لشدّة سكره في غفلته وذلك أنه إذا كبّر تكبيرة الإحرام سرح في أودية الأفكار والأوهام وأعرض عن ربّه ونسي نفسه ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ واشتغل إما برابطة وقفه أو ملكه أو حرفته أو زوجته إن كانت نفسه مفتونة بها أو ولده أو تقرير مسألة يلقيها إبليس عليه ليخرجه من صلاته مفلساً أو مخاطبة من يرتجي منه زكاة أو صدقة فيقول ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وهو مقبل على معبوده الشهودي ورابطته التي هي نصب عينيه ويستمرّ على هذه الحال حتى يسلّم فإذا سلم التسليمة الأولى شرع بالإنكار على الرابطة التي يفعلها العلماء والعارفون في وقت مخصوص ليحصل بواسطتها انتفاء الغفلة حتى يقبلوا على ربّهم في صلاتهم وذكرهم بقلب حاضر . انتهى .

وقال الشيخ الإمام والعارف الهمام أحمد بن إبراهيم بن علاّن الصديقي قدّس الله سرّه في شرح قصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري رحمه الله تعالى التي أوّلها

مَــنْ ذَاقَ طَعْـمَ شَـرَاب القـوم يَدْرِيهِ وَمَــنْ دَرَاهُ غَــدَا بــالرُوح يَـشْـريـه

عند قول الناظم (**إذا رؤي ذكر المولى برؤيته . .**) ما نصّه أي إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته كما ورد في وصف الصالحين « الذين إذا رأوا



ذكر الله تعالى » لأنّ نور قلبه مشرق على وجهه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ومن له ذلك فاز بالسعد والقرب .

قال ابن علوان رحمه الله تعالى

سَعِدَتْ أَعْيُنٌ رَأَتْكَ وَقَرَّتْ   وَكَذَا عَيْنُ مَنْ رَأَتْ مَنْ رَآكَا

ومثل ذلك الشمس إذا أشرقت على الجدار وفي مقابلة ذلك الجدار جدار آخر فيشرق ذلك الجدار الآخر لمواجهته للجدار الذي أشرقت عليه الشمس وعنده أي الناظم طريقة معروفة عند المشائخ يسمّونها **بالرابطة** وهي **رؤية وجه الشيخ فإنها تُثْمِرُ ما يثمر الذكر بل هي أشدُّ تأثيراً من الذكر لِمَنْ عرف شرطها وآدابها** .

ومن ذلك كانت تربية النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم للصحابة رضي الله عنهم فكانوا يشتغلون برؤية طلعته السعيدة وينتفعون بها أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدّة مديدة ولهذا كانت درجة الصحبة لا تضاهى والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة بها يتباهى . انتهى .

وقال العلاّمة المحقق والفهامة المدقق سليل السادة الأمجاد ابن أبي داود الحنبلي صاحب كتاب « تحفة العباد » في كتابه آداب المريد ما نصّه **وعلامة صحّة إرادة المريد** تعلق قلبه بشيخه واستغراقه في مشاهدته في الغيبة والحضور حتى لا يشاهد معه من الخلق أحداً غيره فإذا صحّ له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السَّرْمَدِي وهذا الذي لا يشهده إلاّ أهل المعرفة

بالله تعالى لا الغبيُّ الجاهلُ المفتون بشهوة نفسه الأمّارة بالسوء الذي ليس عنده شيء من الروحانية

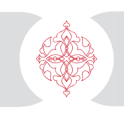
قال بعضهم

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الهَوَى فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا

انتهى

وقال العالم الذي يبهر بفضله الرائي الشيخ إبراهيم بن عمر المنلا الأحسائي في رسالته ما نصه فإن لم تمكِنْه مصاحبة الشيخ لتعذّره ببعده عنه فعليه باستحضاره في خياله ويعتقد أنه في صحبته وحضرته ويتصوّر نفسه كأنها بين يديه ويحفظ ذلك التصوّر في خياله ويفني في وجود الشيخ بكليّته ثمّ يتوجّه الشيخ إلى الله تعالى ويتكلّف ذلك ويكرّره مرّة بعد أخرى إلى أن يشرق النور الإلهي على لطيفته إشراقاً يكشف الغطاء عن أسرار معاني فيكون بالله لا بغيره ولا بنفسه . انتهى .

وقال العالم الراسخ الناقد والماجد الشامخ العابد ذو الأيادي البوادي لدى الحاضر والبادي السيد إبراهيم فصيح الحيدري البغدادي في كتابه « المجد التالد في مناقب مولانا خالد » ما نصّه **اعلم** أن الرابطة هي **عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام الشهود** فإن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره إلى قلب المرابط فإن وجد فتوراً في الرابطة فليحفظ صورة الشيخ في خياله فإنه بحفظ الصورة يتّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله ولها أصل من الكتاب وبها قال علماء الأئمة الأربعة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم والمنكر لها جاهل بأقوال أعلام الأمة المحمدية . انتهى ملخّصاً « نور الهداية »



وفيه فإن كانت الرغبة في سلوك سبيل أهل المعرفة والتوحيد فألق سمعك لما نتلوه عليك وأنت شهيد وافتح عينيك لتبصر ما نطلعك عليه من نفائس العرفان وما ينتج من مجالسة أعيان أهل الشهود والعيان .

قال سيّد العرب والعجم صلّى الله تعالى عليه وسلّم « إِنمَا مَثَلُ الجِلَيسِ الصَالِحِ والجِلَيسِ السوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكير فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُجْدِيَكَ وَإِمَّا أن تبتاعَ منه وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً وَنَافِخُ الكِيرَ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً » . رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه .

وعن أنس ﷺ أنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ إِن لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحه ومَثَلُ الجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيرِ إِن لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ » . قال الإمام المنذري في « الترغيب والترهيب » رواه أبو داود والنسائي .

وهذان الحديثان الشريفان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجّه والرابطة أيضاً لأنّ من لفظهما ومعناهما ما هو مطابق للواقع فإنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم شبّه الجليس الصالح بحامل المسك ثمّ ذكر أنه يحصل من مجالسته إحدى ثلاث فوائد واحدة مقطوع بها وهو وجدان الريح إذ لا مانع منها فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم « إِمَّا أَنْ يُجدِيكَ » أي يعطيك بلا عوض والعطاء هنا على سبيل الإشارة إفادة علم أو حال بتوجّه أحد

أرباب الكمال ويكون منه هذا الفضل الموهوب للمراد الذي سبقت إليه السعادة والمحبوب

ونظرة منه إن صحّت إليه على   سبيل ودٍّ بإذن الله تغنيه

وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم « وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ » أي تقدّم له عوضاً على ذلك من نوافل الخيرات وفواضل المبرّات وهذا شأن المريد السالك وقد يكون ذلك بمجرّد طلب اللسان أو استمداد الجنان فيلحظك بعين عنايته ويمدّك بلطائف روحانيته وهذا الأخذ والعطاء المعنويّان مدرك عند أهلهما بالوجدان فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يلتفت إليه ولا يعوّل عليه إذ لا يستوي الأعمى والبصير كما لا يستوي حامل المسك ونافخ الكير .

وَمَن يَقُلْ لِلْمِسْكِ أَيْنَ الشَّذَا   كَذَّبَهُ فِي الحَالِ مَنْ شَمَّا

ولله درّ قائل

دَلاَئِـلُ العِشْقِ لاَ تَـخْفَى عَلَى أَحَدٍ   كَحَامِلِ المسْكِ لاَ يَخْلُو مِنَ العَبَقِ

وأما قوله ﷺ « وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » أي يسري إليك من حاله ما تنتفع به وهذه الجملة مطابق ظاهرها فعل التوجّه إذ هو انعكاس حاصل تارة بالفعل من غير استدعاء وإليه الإشارة بـ « تبتاع منه » وتارة بانعكاس من غير استدعاء ولا فعل وإليه الإشارة بـ « تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » .

وعبّر بالوجدان دون غيره من الألفاظ لأن الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح وفي الحديث « تَعَلَّمُوا اليَقِينَ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ اليَقِينِ » . والجليس إما أن يكون ناطقاً أو صامتاً وحصول الفائدة من الصامت لا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ » فإنه إذا رؤي المنسوب ذكر المنسوب إليه لا سيما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح فإنه يحصل بها عن القلب رفع الحجاب فينتقش فيه ذكر الكريم الوهّاب فإذا كانت رؤيتهم ومجالستهم منتجة ذكر علاّم الغيوب فالتوجّه أبلغ في حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ولم يذق من شرابه السلسبيل

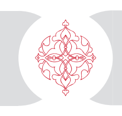
عَلَى نَفْسِـهِ فَلْيَبْكِ مَـنْ ضَـاعَ عُمْرُهُ   وَلَيْـسَ لَـهُ فِيهَـا نَصِيـبٌ وَلاَ سَـهْمٌ



وهذه الكيفية عليها مدار أهل الطريق لأنها أقرب في إيصال المريد إلى الدرجة العليا من درجات التوحيد على التحقيق . « نور الهداية » .

وفيه وقال أحمد بن حضرويه **القلوب أوعية** فإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح وقال أبو تراب **ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب** . انتهى .

وإصلاح الخواطر منتجة تطهير البواطن وتطهير الباطن لا يتأتّى بدون توجّه الشيخ الكامل وتوجّهه عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك وصبّ ما في صدره أوّلاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك وهكذا إلى سيّدنا الصدّيق الأكبر لقوله ﷺ « مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شيئاً إِلاَّ وقد صَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » وأبو بكر رضي الله تعالى عنه هو الواسطة في هذه الطريقة العلية الصدّيقيّة النقشبندية المجدديّة الخالدية ولم تزل مشائخ هذه السلسلة الذهبية تتوارث الصبّ المذكور كابراً عن كابر إلى يومنا هذا لا زالت مرسومة على جبهة الدهر بأحرف نورانية تزيل عن قلوب سالكيها الحجب الظلمانية . انتهى « نور الهداية والعرفان » للشيخ محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي الخالدي العثماني شيخ السجادة الخالدية وقائم مقام أبيه وعمّه في دمشق الشام المحميّة . أمدّنا الله بمدده وأفاض علينا من بركاته . آمين .



علماء المذاهب الأربعة والرابطة

فيكفي للمنصف ما ذكره فيه ولا يحتاج بعد ذلك لزيادة أقوال غيره لكن أردت أن أذكر هنا أسماء أكابر السادات القائلين باستحسان الرابطة مع بيان كتبهم والإعراض عن ذكر أقوالهم بعينها لما أن في ذلك طول كلام والطول لا يحتمل هذا المختصر **ولا يخفى أنّ كثرة القائلين تنبئ حقية الأمر فأقول وبالله التوفيق من الذين** يقولون بحسن الرابطة من **العلماء الحنفيّة** العالم كمال الدين البابرتي في « شرح المشارق » في حديث « من رآني فقد رآني » **ومنهم** الإمام العارف بالله عبيد الله الأحرار السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ . وصرّح الإمام المحقق الشريف الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » وأوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيض منها حتى بعد الموت

ومنهم العالم العلاّمة مولانا عبد الرحمن الجامي قدّس سرّه في « شرح الرباعيات » وفي « النفحات » وفي رسالة توجُّه الخواجكان

ومنهم العالم العلاّمة محمد بن سعيد الخادمي شارح الطريقة في رسالته النقشبندية

ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب »

ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العالية » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى



ومنهم الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في رسالته المعروفة « بالتاجية »

ومنهم صاحب القاموس في « مقدمة البصائر » وقال الشيخ المحقق الإمام نجم الدين الكبري فالرابطة بالقلب أصل كبير في الاستفاضة بل لا تتصفَّى مرآة القلب بدون رابطة القلب بالشيخ . انتهى

ومنهم قدوة المحققين زبدة المتأخرين عبد الغني النابلسي شارح الطريقة في شرحه على التاجية

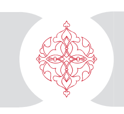
ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي وهو أخذ هذه الطريقة عن الإمام الرباني وله قصّة نفيسة وقعت معه وهي مذكورة في « مرآة الحامدين » فراجعه

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إسماعيل حقي البروسي في عدّة كتبه وفي « التحفة الوسمية »

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إبراهيم حقي الأرضرومي في « معرفة نامته »

ومنهم الإمام العالم العلاّمة الإمام الرباني السيد أحمد الفاروقي السرهندي المجدد الألف الثاني في « مكتوباته » وقد ذكرنا ما قاله في موضعين فقلّبه . وكذا ابنه الإمام معصوم العروة الوثقى الحنفي في « المكتوبات »

ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكّي النفوس »



ومنهم محمد مراد الكابلي الحنفي في « رسالته النقشبندية » . قال فيها كلاماً نفيساً فراجعه

ومنهم الإمام العارف محمد جلال الدين الرومي في « المثنوي » هؤلاء من الحنفيّة .

ومن الأئمة الشافعية

الإمام الغزالي في « الإحياء » في بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في قلب عند كلّ ركن من الصلاة وقد مرّ ما ذكره في كتابه « المضنون الكبير »

ومنهم العالم المحقق شهاب الدين ابن حجر المكي في « شرح العباب » في بيان معاني كلمة التشهد وفي « شرح الشمائل » ومرّ ما قاله في « شرح الهمزية »

ومنهم خاتمة المحدّثين العلاّمة الحافظ جلال الدين السيوطي في « تنوير الحَلَك في رؤية النبي والملك » . وقال أيضاً في « كتاب المنجلي في تطوّر الوليّ » كلاماً ينبغي مراجعته وملاحظته هنا نقلاً عن الإمام السبكي فراجعه

ومنهم الإمام العالم العلاّمة العارف بالله الشعراني في « نفحاته القدسية » وفي « لطائف المنن » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية »

ومنهم العالم العلاّمة السفيري الحلبي الشافعي في شرحه على « البخاري » في حديث « ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ »



ومنهم الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » . قال زين الدين الخوافي رحمه الله في « وصاياه » عند عدّه وشرحِه الشروطَ الثمانية الجنيدية قال و**الشرط السابع** دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم . . . إلى آخره

ومنهم الإمام السبكي في « الطبقات الكبرى » وغيرهم

ومنهم القطب المشهور خالد البغدادي في رسالتيه في الآداب والرابطة .

ومن الأئمة المالكية

صاحب المختصر المشهور جليل العلاّمة الشيخ جليل من أجلّ فقهاء المالكية

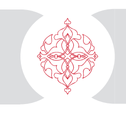
ومنهم الشيخ أبو العبّاس المرسي

ومنهم الإمام العالم العلاّمة ابن عطاء الله الإسكندري في كتابه « تاج العروس » . وقد مرّ ما ذكره في « مفتاح السعادة »

ومنهم من تلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الباقي محي الدّين العربي في باب الثلاثين من « الفتوحات »

ومنهم العلاّمة الفاسي في « شرح دلائل الخيرات » في عدّة مواضع فراجعه ففيها مهمات نفيسات وقد ذكرها بالتمام مؤلّف « هدية الذاكرين »

ومن الأئمة الحنابلة الإمام العالم العلاّمة شمس الدين بن القيم في كتاب « الروح »



ومنهم الغوث الأعظم السلطان عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه قال ما معناه إن للفقير السالك طريقَ القوم رابطة قلبية مع الأولياء فيستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم فيجب إكرامه ظاهراً . انتهى نقلاً عن الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب آداب المريدين مع شيخهم وغيرهم .

التصانيف في الرابطة

وقد ألّف في الرابطة العالم فصيح أفندي رسالة نفيسة وكذا ألّف فيها رسالة العالم الفاضل وحيد الدهر محمد فوزي أفندي المشهور بمفتي « أدرنه » السابق ردّاً للمنكر المتعصب سيد خواجه وكذا فيها رسالة لملا جامي وكذا فيها رسالة لمولانا حضرة خالد قدّس سرّه وشرح عليها الشيخ سليمان الزهدي شرحاً نفيساً سمّاه بـ« تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » وكذا فيها رسالة لعبد الغني النابلسي وكذا للخادمي وغيرهم فراجعها .

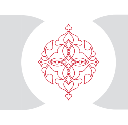
وبسط مؤلّف « الفتاوى العمرية » وصاحب « الرحمة الهابطة » الكلام في ثبوتها وحسنها .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال بعضهم الوسيلة في الأحياء الشيخ والنبي عليه السلام أهدى وأرشد ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ أي في سبيل الله هذا أمر بمجاهدة الصوفية فافهم ولأنه يدلّ على تصور التوسل إلى الله وهذا مما عرفه العرفاء عياناً . فراجعه من سورة المائدة .



واستدلّ للرابطة مؤلف « هدية الذاكرين » بقوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وقوله ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ وقوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وقوله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وقوله عليه السّلام « تَفَكَّرُوا فِي آلاَءِ اللهِ ولاَ تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ » الحديث وقوله « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُون قَدْرَه » . . . وأطال . ثمّ قال وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغّباً فيه فكيف لا يجوز في أفضل خلقه وأشرف آلائه وحبيبه محمد الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم وفي خلفائه وأتباعه الكاملين وقال ﷺ في حديث الأبدال « بِهِمْ تَقُومُ الأَرْضُ وَبِهِمْ تُمْطَرُونَ وَبِهِمْ تُنصَرُونَ » وقال « ذِكْرُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ العِبَادَةِ وَذِكْرُ الصَالِحِينَ كَفَّارَةُ الذُنُوبِ وَذِكْرُ المَوْتِ صَدَقَةٌ » الحديث ولا يمكن ذكر الشيء إلاّ بإحضار صورة المذكور في القلب والخيال بالضرورة .

وقيل **عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة** قيل هذا من كلام سفيان بن عيينة وقيل حديث مرفوع له أصل وقال عليه الصلاة والسّلام « بجّلُوا المَشَائخَ فَإِنَّ تَبْجِيلَ المَشَائخ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ تَعَالَى فَمَنْ لم يُبَجِّلْهُمْ فَلَيْسَ مِنّي » رواه أنس وقال « مَن لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا » قال شراح الحديث مَن لم يعظم حرمة من يؤدّبه حرم بركته ومن اعترض شيخه لا يفلح أبداً .



وقال عليه الصّلاة والسّلام « خَمْسٌ مِنَ العِبَادَةِ قِلَّةُ الطعام والقُعُودُ فِي المَسَاجِدِ وَالنظْرُ إِلَى الكَعْبَةِ وَالنَظْرُ فِي المُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ وَالنَظْرُ إِلَى وَجْهِ العَالِمِ » صدق رسول الله فيما قال .

وهذه الرابطة واقعة في الصحابة من شدّة محبّتهم واتباعهم له ﷺ وكذلك في التابعين وأتباعهم ويكفي لذلك شاهداً ما حصل لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حيث لم يجد محلاًّ خالياً من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حين أراد قضاء حاجته البشرية فاشتكى من هذه الحالة إلى النبي ﷺ فرخّص له فيه وما حصل أيضاً للإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه في مناجاته عند روضة رسول الله ﷺ حيث قال

وَإِذَا سَـمِعْتُ فَعَنْـكَ قَـوْلاً طَيِّبـاً   وَإِذَا نَظَـرْتُ فَمَـا أَرَى إِلاَّ كَا

انتهى وأطال في ذلك

وقال والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله والسلام على عباد الله الصالحين في الصلاة مشروعة مسنونة والآل كلّ تقيّ . وإذا كان في الصلاة كذلك فكيف يتصوّر كفر من أحبّ أستاذه وتخيّله في قلبه لشدّة محبّته له حالة الذكر والقراءة والصلوات الشريفة ليكون وسيلة إلى الخضوع والخشوع والحضور ودفعاً للخواطر والوساوس الشيطانية وهذا أمر مشروع مقبول **وأمّا تفكّر** صورة أستاذه وتخيّله واتخاذه معبوداً من دون الله تعالى واختصاصه بالعبودية أمر لا يفعله الكفرة من أهل الكتاب **وأما تكفير من أحبّ أستاذه من حيث أنه أستاذه في الدين فكفر لأنه تكفير لأهل القبلة والدين ولهؤلاء**

الأئمة المذكورين إلى أن ينتهي إلى الأصحاب حتى النبي ﷺ فحاشا ثم حاشا اللّهمّ لا هادي لمن أضللت ولا مضلّ لمن هديت ولا حول ولا قوّة إلاّ بك .

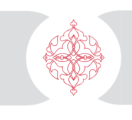
فيا عجباً للقائل بحرمة الرابطة وتكفير أهلها هل أخذ من معناها اللغوي أو الاصطلاحي أو هل وجدها في الكتب المنزلة فليتّق الله وليحذر من أن يحرّم ما أحلّ الله ويحلّ ما حرّم الله ويقع في الخطأ العظيم فيوقع غيره ويمنع الناس عن المعروف ثم ليتّق الله ولا يكفّر أحداً من أهل القبلة فيرجع عليه قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ صدق الله العظيم .

والحاصل أنه ليس في الكتب المنزلة ولا في الأحاديث النبوية ولا في الكتب المعتبرة عبارة تفيد حرمة الرابطة المعتبرة في اصطلاح القوم لا صراحة ولا دلالة بل فيها إباحتها واستحبابها صراحة ودلالة قال البوصيري

لا تَعْجَبَنْ لِـحَسـودٍ رَاحَ يُنكِـرهـا ... تَجاهُلاً وهـو عَـيْنُ الحَـاذِقِ الفَهِمِ
قد تُنْكِر العينُ ضوءَ الشـمْس مِنْ رَمَد ... ويُنْكِرُ الـفـمُ طـعْـمَ الماءِ مِنْ سَقَم

لكن الشمس شمس وإن لم يرها الضرير .

وأما قول بعض أهل الأغراض بحرمة الرابطة وتكفير صاحبها فهو من جهله بمعنى الرابطة وسوء ظنّه بأهل الذكر والطريقة وأرباب الشريعة حيث أوقعه جهله وحسده وغرضه في تكفير أهل الطريقة والذكر من المشائخ والمريدين والأئمة من الصحابة والتابعين . فنعوذ بالله تعالى .



وأما قول القائل بأن الرابطة بدعة فبدعة متوعّد قائله بالخذلان .

وأما تشبيه الرابطة بالصنم وأهل الرابطة بأهل الصنم فهذا ضلال ما قاله أحد من الأئمة من أهل السنة والجماعة .

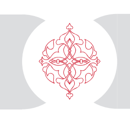
وأما خطأه في بيان الأدلّة النقلية والعقلية لإثبات زعمه فظاهر لأرباب الفهم لأن أدلّته النقلية قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ الآية وقوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية وقوله عليه الصّلاة والسّلام « وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا » الحديث وعدم دلالة هذه الأدلّة على حرمة الرابطة المشروعة ظاهر كما لا يخفى على أهل الإنصاف والنظر وعلى من تتبع معنى هذه الأدلة ومعاني الرابطة قال تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وقال تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ .

وأما أدلته العقلية باللسان التركي فمعناه بالعربية أن الرجل إذا عمل الرابطة بالشيطان يحصل له ما يحصل له من الرابطة بالمرشد وبالشيخ وقد أخطأ بهذا القول خطأ ظاهراً بيّناً لأنه سوّى بين مرابطة الشيطان المنهيّ عنها وبين رابطة الأنبياء والأولياء المأمور بها وخالف قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وقوله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ الآية وقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ وقوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية .

وأما من حصل له الرابطة مع الشيطان فقد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله فيدخل تحت قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ .

وأما من حصل له الرابطة مع الأنبياء والأولياء فيكون من جملة حزب الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ لأنهم إذا رؤوا ذكر الله .

وبتلك الأدلة ظهر عدم فرقه وتمييزه بين الحقّ والباطل فرأى الباطل بنظر الحق والله تعالى أمرنا وأوجب علينا الحبّ في الله والبغض في الله وظهر أيضاً عدم فرقه بين الشهوة النفسانية والقوة الروحانية فإنه يحصل للرجل اللذة بالزنا كما تحصل بزوجته ويحصل الطرب باستماع الغناء وآلات اللهو كما يحصل باستماع القرآن والذكر وتحصل الشهوة والمحبة بملاحظة صورة الشابة الحسناء الجميلة وكثيراً ما يقع به الإنزال والاحتلام كما تحصل المحبة والحضور وتأدب النفس وحياة القلب والروح بملاحظة صور الأنبياء والأولياء فأحد الشقَّين يردّ إلى أسفل السافلين والآخر يرفعه إلى أعلى العليين وأحدها ينعش النفس ويقوّيها وإنّ النفس لأمّارة بالسوء والآخر يحيي الروح والإيمان ويقوّيهما كما لا يخفى على أرباب الفهم ولعلّ ذلك المعترض تاب ورجع عن خطئه ولكنَّه كان فتنة للناس حيث منع كثيراً منهم عن ذكر الله تعالى وأوقعهم في سوء الظنّ بأهل الذكر والطريقة وتكفيرهم لهم والحال أن تكفير أهل القبلة كفر صريح فنعوذ بالله من الشكّ بعد اليقين ومن الضلالة بعد الهدى ومن ضرّاء مضرّة وفتنة مضلّة . اللهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّك وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ



وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلى حُبِّكَ . آمين بحرمة النبيّ الأمين عليه السّلام . انتهى ما قاله العلاّمة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفي الحنفي النقشبندي في « هديّة الذاكرين » فجزاه الله عنا وعن أهلنا فقد صرّح ما كان واجباً علينا أن نصرّحه في جواب مسائل المنكر في عصرنا هذا .

ونقل الشيخ عمر الميرطي رحمه الله في « فتاويه » ما نصه **والثالث** محبة الشيخ الكامل وحسن صحبته وخدمته ولا يعترض عليه في شيء ولا ينكر ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغسال كما قال الله تعالى ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ ويرابطه وهو عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ورؤيته بمقتضى « هُمُ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » بها تحصل الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على الجليس الصالح .

والشيخ كالميزاب ينزل الفيض والنور من قلب الرسول عليه السّلام الذي هو كالبحر المحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري **وأما قلوب المشائخ فكالبحر الذي له ساحل** فتنزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول عليه السّلام ثم إلى المشائخ ثمّ إلى قلب المريد بواسطتهم وإن وجد الفتور في الذكر فليحفظ صورة الشيخ في خياله بموجب ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ و« المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

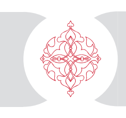
وقيل **الفناء في الشيخ مقدّمة الفناء في الرسول والفناء في الرسول مقدّمة الفناء في الله** وذلك باتّصافه بصفة الشيخ وتخلّقه بأخلاقه **وهذا هو الطريقُ المستقلُّ للوصول إلى الله عزّ وجلّ** . « حديقة شعراني » .

إن قلت ما الفرق بين المحبة والرابطة

قلت المحبّة ملزوم والرابطة لازم فقولنا (رابطة شريفة) من قَبِيلِ ذكر اللازم وإرادة الملزوم **فافهم جدّاً** كما قال إسماعيل حقي قدّس الله سرّه الجليل **الرابطة اثنان رابطة الحق ورابطة الطبع** فمحبة أولياء الله رابطة الحق ومحبة الأولاد والأهل والأقرباء رابطة الطبع . وكذا قال في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي من غير رابطة قرابة أو رحم . « روح البيان » .

قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم « والذِي نَفسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبَوَيْهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ والنَاسِ أَجْمَعِينَ » وفي حديث آخر « الآنَ كَمُلَ إِيمَانُكَ يَا عُمَر » حين قال عمر يا رسول الله إني أُحِبُّك من نفسي .

روي أن النبي ﷺ قال « مَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ » فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد إلاّ أن نتّخذه ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنه في الحقيقة مبلّغ والآمر هو الله تعالى **فعلى المرء أن يحبّ النبي ويتّبعه ويتّبع أولياء الله تعالى** فالاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . « روح البيان » . انتهى .



وقد نقلت منه ما بعد هذا من قبل من الأدلة الواضحة لإثبات الرابطة فلا نعيده .

وفي « الفتاوى العمرية » وقد صرّح التصرّف والإمداد جماهير المفسّرين في قوله تعالى ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي مثل له يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فسكن شهوته فلم يقربها ولولا أن رآى ذلك البرهان ليحتمل أن يجامع كما قيل جواب لولا في الآية محذوف وهو لجامع . تفسير « الكشاف » .

وإذا تحقق ولاية الولي يتصوّر في صور عديدة وليس ذلك بمحال لأنّ المتعدد هو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى . كتاب « المنجلي » للسيوطي .

فإن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ويقع منهم التصرّف في الحياة وبعد الممات . الحموي في « نفحات القرب » .

الروح تظهر في الدنيا في سبعين ألف صورة ففي البرزخ من باب الأولى . « رسالة الرابطة » لحضرة خالد .

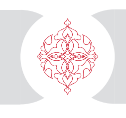
إنّ الشيطان كما لا يتمثل بصورة النبي لا يقدر أن يتمثَّل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمه . « فتح الباري » شرح البخاري عند قوله ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ . انتهى .



وفيه بعيد ذلك **والحاصل** أن تخييل صورة الشخص بين الحاجبين أو بين العينين أو بين عيني القلب أو في خزانة الخيال أو غيرها على اختلاف الأقوال في تعيين محل القوة المفكرة إنما يحصل ذلك بسبب فرط المحبة أو فرط العداوة أو فرط الشهوة وذلك موجود في جميع بني آدم حتى ترى نفسك ينزل منها المني بتخيّل صورة المحبوبة أو الغلام المحبوب في محلّ الخيال وترى نفسك أيضاً ترابط الأجنبيَّة الحسناء وتخيّلها بين حاجبيك حتى تجامع زوجتك كأنها هي الأجنبية الجميلة كما بيّن حكمته الفقهاء بأنّ تخيُّل صورة الأجنبية حالة الجماع قيل مكروه وقيل لا يكره لازدياد لذّة الجماع وكذا ترى نفسك ترابط العدوّ حتى يعرق بذلك من تجسّم صورة العدوّ بين عينيك فإذا كان الأمر في الأمور الظلمانية هكذا فكيف لا تخاف من الله تعالى أن تحكم بأنّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد اتّفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسّل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً وكذا التوجّه إلى قبور الأنبياء والأولياء والتوسّل بهم والاستغاثة بهم . انتهى . ويتأدّب الزائر مثل ما لو كانوا أحياء **وكذا قراءة الفاتحة بعد الدعاء** وقول بعضهم (للنبي أو لفلان) جائز بل مطلوب شرعاً كما ثبت الزيارة إلى الروضة المطهرة بلا منكر ولا نكير وكذا الاستمداد والاستشفاع من روحه ﷺ وكذا الزيارة للخلفاء الأربعة وسائر الصحابة والاستمداد منهم والاستشفاع من أرواحهم وتقبيل ضرائحهم للتبرك غير ممنوع « فتاوى خليلي » .

ويجوز تقبيل ضرائح الأنبياء والأولياء تبركاً « باجوري » .



الاجتماع بالشخص جائز وواقع يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد وقد تقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ومن حصّل الأصول الخمسة أي الاشتراك في الذوات وفي الصفات وفي الأفعال وفي الأحوال وفي المراتب وثبت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء « شرح المشارق » في حديث « من رآني . . . إلخ » .

الانتفاع بزيارة الموتى والقبور

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في « المطالب العالية » سألني الملك الصالح غوري بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور فكتبت له فيها رسالة وأنا أذكر هنا ملخّص ذلك الكلام فنقول الكلام فيه مبني على مقدمات وأطال فيها الكلام وخلاصة خلاصته إنا قد دلّلنا على أنّ النفوس البشرية باقية بعد مفارقة الأبدان مدركة للجزئيات بل هي أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه لزوال الغطاء والوطاء ولانكشاف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة فصارت العلوم البرهانية ضرورية وكانت تلك النفوس الروحانية تحت غبار وبخار فلما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلّت وتلألأت فحصل لها نوع من الكمال . . إلى أن قال فإذا عرفتَ هذه المقدمات فنقول

إنّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قَوِيِّ النفس أي الروح كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هنالك ساعة تأثَّرت نفسه من تلك التربة وحصل لنفس هذا الزائر ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك

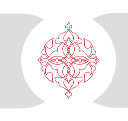
التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين وُضِعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فينعكس نور هذا إلى ذاك ونور ذلك إلى هذا وبهذا الطريق يصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور **وهذا** هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدقّ وأحقّ بما ذكرناه وتمام العلم بالحقائق ليس إلاّ عند الله تعالى . انتهى كلام فخر الدين الرازي ملخصاً .

وأما حديث « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إلى ثلاَثَةِ مَسَاجِدَ » فالمراد منه المساجد لا المقابر .

وفي الحديث « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي في حَيَاتِي » وفي الحديث « المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ » أي ينعكس من مرآة قلب أحدهما إلى الآخر ما في القلوب فربّما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الحيوانات والجمادات فتنطقه بالذكر كما وقع لداود عليه السّلام كما قال الله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ إلى ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وكما وقع لسلمان وأبي الدرداء قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه .

ولِهِمَّةِ أهل الله وتوجّههم وأنفاسهم ومسّهم وصحبتهم تأثير عظيم فمن ذاق يعرفه ومن لم يذق لم يعرف . انتهى . وأطال في ذلك .

وقد تكلّم واحد على كلام ذلك الإمام فخر الدين الرازي المذكور وعدَّ تلك الزيارة من الشرك وقال وهذا سرُّ عبادة الأصنام وذلك مُنبئٌ عن شذوذ قائله من دائرة أهل السنة والجماعة وبناء على هذا كتب إليّ من وقع سبباً



للتأليف بأنّ الرابطة عين الشرك . فحاشا ذلك وكلاّ **وكلام الوهابية وأتباع ابن تيمية** يُرْمى في كل وَعْر وحَزْن ولا يقام لكلامهم وَزْن وقد ردّ النبهاني قدّس سرّه شبهات أولئك القوم في « شواهد الحق » فمن أراد الاطلاع فعليه الرجوع إليه وإلى « الفتاوى الحديثية » لابن حجر « والفتاوى الكبرى » و« نور الإنصاف » .

وقد نقلنا منها أقوالاً شافية لمرض القلوب ودلائل كافية في إثبات ما أجمع عليه علماء الأمة حديثاً وقديماً في « البروج المشيدة بالنصوص المؤيَّدة » فراجعه .

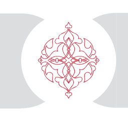
قال مؤلف « الرحمة الهابطة » بعد ذكره حديث « إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِير فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيّبَةً وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً خبيثةً » وحديث « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » ما نصّه وهذان الحديثان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجُّه والرابطة لأنّ من ألفاظهما ومعانيهما ما هو مطابق للواقع كما أنهما يرغّبان في صحبة الصالحين . انتهى . وأطال في ذلك . فراجعه في ١٩١ من هامش « الدرر المكنونات » .

ثمّ قال لأنّ الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح وإذا كانت الطِباع تسرقُ فمن باب أولى أنّ القلوب المنيرة تسرق وتحصل الفائدة من الجليس الصامت ولا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه



ومن المعلوم أن من جالس شخصاً سيما إذا كان الجلوس على طريق المحبة والاعتقاد لا بدّ أن ترسم صورته في ذهنه فمهما تذكّره تخيّل صورته فإن كان الشخص من أحباب الله فتخيّل صورته يدعو إلى محبّته والشوق إليه ومحبته مطلوبة والشوق إليه محبوب فتخيل صورته محبوب إذ من تصوّر موصوفاً تصوّر صفاته فإذا كانت صفاته محبوبة عند الله فتصوّره الموجب لتصوُّر صفاته المحبوبة محبوبٌ ولا معنى للرابطة سوى هذا ولا يرتاب عاقل في أن الإنسان مختار في حركاته الظاهرة وتصوّراته الباطنة إذ لا حجرَ عليه من جهة الشارع إلاّ إن تحرَّكَ في معصية أو إلى معصية وكذا إن تصوَّر فعلَ معصية كمن تصوّر أنه يزني فهذا محظور بخلاف من تصوّر أنه يأتي حرثه فلا منع من ذلك وإنّ قوله ﷺ « خِيَارُكُمْ الذين إِذَا رُؤُا ذُكِرَ اللهُ » فهذا كالشرح لقوله « أَوْ تجدُ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » جعل مجرّد رؤيتهم محصِّلة لذكر الله وذلك لأنهم منسوبون إلى ذكر الله وإذا رأى المنسوبَ ذكر المنسوب إليه وهو عين الذكر لا سيَّما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح فإنه يحصل بها رفع الحجاب عن القلب فينتقش فيه ذكر الله فإن كانت مع مجالسة فهذه أبلغ من حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب .

ولتتيقّن يا أخي وتجزم بأني لم أذكر لك جميع ذلك عن ظنّ وتخمين لا والذي وسعت رحمته كلّ شيء بل عن تجربة وتحقيق والشفيق يجتهد في النصيحة فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ولم يذق من شرابه السلسبيل



عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَـنْ ضَـاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَـهُ فِيـهَـا نَصِيبٌ وَلاَ سَـهْمُ

والحاصل أنّ صحبة الصالحين محتاج إليها وقد قالوا الرفيق قبل الطريق وتطهير القلب عن الصفات المذمومة كالكبر والعجب والرياء ومحبة الدنيا ونحوها فرض على كل مسلم بإجماع العلماء لأن جميع الطاعات يترتب وجودها والإحسان فيها على تطهير القلب ويكفيك قوله ﷺ « إِنَّ فِي الجَسَدِ لَمُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ » الحديث وتطهير القلب لا يحصل على وجه المراد إلاّ بصحبة مرشد كامل . وتأمّلْ « عهود الشعراني الكبرى » يتحقق عندك صحة هذا القول . انتهى . وأطال في ذلك فراجعه في ١٩٥ وفي ١٩٤ من هامش « الدرر المكنونات » ج١ .

وقد أثبت فيها الرابطة بدلائل من الكتاب والأحاديث والإجماع والقياس وأطال القال والقيل في ذلك بالبسط التام .

وقال إنّ الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله **والوسائل لها حكم المقاصد** . انتهى .

وقال في آية ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ والوسيلة بالأعمال الصالحة ولا تكون الأعمال صالحة إلاّ بالإخلاص ولا يكون العمل خالصاً إلاّ إذا خلا عن الشوائب وقد حصل لنا بالتجربة . أنا إذا اشتغلنا بالرابطة خلت أعمالنا عن شوائب الغفلة والعمل في الغفلة غير معتدّ به لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها **فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة وزوال الغفلة مقصود وما أوصل إلى المقصود مقصود** ومن لوازم زوال الغفلة الحضور وهو من

أشرف الوسائل فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل . انتهى ٢٢٢ .

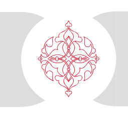
وفيه ما نصه قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في رسالته « مدارج السالكين » **الأدب السابع** أن يخيّل خيال شيخه بين عينيه وهو عندهم من أهم الآداب وآكدها .

وقال أيضاً في « البحر المورود » اعلم يا أخي أن ربط أحدنا قلبه بشيخه حيّ أو ميّت ينفعنا ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله شيخاً لأنّ ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله لا لذاته ومحالٌ أن يوجد الحق تعالى عند السراب الذي ظنّه الظمآن ماءً ويفقد عند عبد من عباده مشهور بالصلاح حقيقة مع ان السراب ليس له حقيقة بخلاف الصالح له وجود وحقيقة . فافهم . انتهى . في ٢٦٧ ج١ .

وذكر فيها[١] ما قاله العلماء الأعلام في حقها وأطال وَبَسط وقال فيها أيضاً ما نصّه **اعلم أيها الأخ** أرشدك الله أن الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله والوسائل لها حكم المقاصد . قال سيّدي الحبيب عبد الله باعلوي الحدّاد في كتابه « إتحاف السائل » الحضور مع الله روح العبادات وهو المقصود منها وبه يعبأ المحققون والأعمال التي تصدر مع الغفلة يرونها إلى العقوبة والحجاب أقرب منها إلى المكاشفة والثواب **فالرابطة تفيد رفع** الحجاب ورفع الحجاب مطلوب وكل ما أفاد المطلوب مطلوب فالرابطة

---

[١] أي في « الرحمة الهابطة » .(هامش الأصل) .



مطلوبة فقد هلك من لا رابطة له وكل إنسان له رابطة لكن شواهد الرحمة الهابطة ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ . **فرابطة رسول الله ﷺ دائمة وأسناها وأسماها قولُه ﷺ « لِي وَقتٌ لاَ يَسَعُني فِيه غَيْرُ رَبّي » . ورابطة الأولياء** قوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى « مَا وَسِعَنِي أَرْضي وَلاَ سَمَاواتي » . الحديث . **ورابطة المريدين** قوله ﷺ حاكياً عن ربه تعالى أيضاً « وَجَبت مَحَبَّتِي » . الحديث . وهذا أمر لا يدركه الإنسان إلاّ بالذوق والوجدان فإن أحببت يا أخي أن تسلك سبيل الرحمة الهابطة وتكون لك على التقوى مرابطة فعليك بطريق الرابطة فإنها تعلّق القلب **وتعلّق القلب بطاعة الله ورسوله منتج لمحبّة الله ورسوله والرابطة يحصل بها زوال الغفلة وجمع القلب على الله** وذهاب القسوة من القلب والخشوع ونزول الرحمة وكل ذلك يثمر المحبّة . انتهى راجعه في ٢٣٠ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزأ الأول .

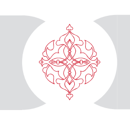
وكان محمد النقشبندي يفعل الرابطة إلى عبد الخالق الغجدواني وإن كان أستاذه الأميركلال وكان أبو يزيد البسطامي يفعل الرابطة إلى جعفر الصادق بلا رؤيته قدّس سرّه (من خط الشيخ العسلي قدّس سرّه) .

والمراد من ربط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان وترك الإثم والعدوان فإنه إذا همّ بمعصية يتمثّل له الشيخ فينزجر عن فعلها إن كان ربطه كاملاً على محبّة دائماً كما أخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السّلام بقوله ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ وهو أنه مثّل له أبوه يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته « جامع الأصول » من خطه قدّس سرّه .

وقال مولانا جلال الدين الرومي قدّس سرّه **كل واسطة ورابطة حجاب بين الطالب والمطلوب إلاّ رابطة الأنبياء والأولياء الذين أفناهم الله عنهم وأبقاهم به وتخلّقوا بأخلاقه** بل هي خارقة الحجاب قاطعة التعلق والأسباب **فالرابطة معجزة نفيسة لرسول الله عليه السلام باقية مستمرّة إلى يوم القيامة** وكرامة الخلفاء المرشدين الكاملين متجدّدة في قلوبهم وفي قلوب السالكين لكلّ وقت وحين . « مثنوي » .

حكي أن شيخاً من الشيوخ سافر مع أحد من مريديه فاعترض على طريقهما ماء كالبحر فقال الشيخ أنا أدخل على الماء وأقول يا الله وَادْخُلْ أنت وقل أنت يا شيخ يا شيخ . فلما بلغا وسط الماء قال المريد يا الله فتسفّل في الماء فقال الشيخ قل يا شيخ يا شيخ فقال يا شيخ يا شيخ فعلا على الماء فلما جاوزا قال يا شيخ ما السرّ في هذا قال الشيخ لأنّك لا مناسبة بينك وبين ربّك في وصول الفيض منه إليك فما دام جعلتني واسطة وصل منه إليّ ومنّي إليك فلما أخرجتني انقطع الفيض فتسفّلت . « مشكاة » من خط العسلي قدّس سرّه .

ورأيت في « الإبريز » ما حاصله ومُلخَّصه هذا إنّ مؤلِّفه قال لشيخه – يعني القطب عبد العزيز الدباغ ذات يوم إني أخاف من الله من أمور فعلتُها فقال لي ما هي فذكرت له ما حصل فقال لي ﵁ لا تخف من هذه الأشياء ولكن أكبر الكبائر في حقِّك أن تمرَّ عليك ساعةٌ ولا أكون في خاطرك فهذه هي المعصية التي تضرّك في دينك ودنياك . انتهى راجعه ٢١٣ .



وفيه قبيل هذا قال في « العوارف » وليعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله إلى جناب كرمه منه يدخل ومنه يخرج وإليه يرجع وينزل بالشيخ حوائجه ومهمّاته الدينية والدنيوية ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع في ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة فلا يتصرّف الشيخ في المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومَهَامِّ دينه ودنياه . انتهى .

وفي « الرحمة الهابطة » **فإن قال الأخ المنكر** تاب الله عليه قد عرفنا على هذا القول أن الرابطة تعلق القلب وهذا لا نقول بمنعه والحب في الله واجب ومحبة الصالحين ثابتة لكن من أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها وأنّ استحضاركم بسبب تعلق القلب وأنه جائز

والجواب عن هذا من وجوه **الأوّل** قولك من أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها .

أقول إنّ هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه كما حصلت لك أضدادها باستغراقك في معبودك الذي نبّهناك عليه ولكنها ﴿لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ألا ترى أنك إذا كبّرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة أو برابطة الحاكم أو الوزير أو الملك أو أهلك أو بكلٍّ في ركعة وسجدة وتنسى مَن أنت واقف بين يديه ولا تستحي

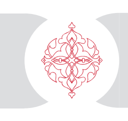
منه وتنسى نفسك وتخرج من الصلاة ولا تدري أيّ شيء قلت أتنكر ذلك ما أراك تجحد ذلك .

الثاني قولك أنّ استحضاركم بسبب تعلّق القلب .

أقول لا يخفى أنّ استحضار الشيء سببه تعلق القلب به وأهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ولا يحصل لهم إلاّ بالتكلف لأنهم يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة ومن كان شغله نفي ما سوى الله لا جرم أنه لا يستحضر أحداً إلاّ بسبب تعلق القلب مع التكلف للفائدة التي ذكرناها وأنت تشهد أنّ سببه تعلق بالقلب ولا تكتموا الشهادة . وذلك لأنّك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك فإذا كبّرت للصلاة ظهرت لك صورها وصارت قبلتك التي تسجد إليها ونسيت ما سواها لتعلق قلبك بها واستيلائها عليه وانتقاشها في نفسك فإنه يحصل لك ويجوز لك استحضار المطالب وأنت محق ونحن المبطلون أهكذا يكون الإنصاف ما هذا إلاّ الاعتداء والخلاف .

والثالث قولك أنه جائز .

أقول من المعلوم أن الأصل في الأشياء الحل ما لم تثبت به الحرمة **فكل شيء لم ينه الشرع عنه فهو مباح وفعله جائز** فحركات الإنسان وتصوُّراته المباحةُ فعلها جائزٌ فإن أوصلت إلى مندوب ففعلها مندوب فالرابطة فعلها باعتبار الأصل جائز وباعتبار ما توصل إليه مندوب .



الرابع عدم علمك بحصول مطالبنا ما يجوّز لك سلبنا ولا الإنكارعلينا بما لم تحط به علماً كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مقصودنا .

الخامس قد علم وقرّر واشتهر أنّ المصلّي يسنّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحلّ سجوده والمراد من ذلك جمع القلب والحضور وعدم التفرقة وهذا من أنواع الرابطة أفلا تجعل تخيّل الرابطة كتخيّل الأعمى النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة فإنّ المقصد واحد إلاّ أنّ أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام وليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة وهي أن تعبد الله كأنك تراه .

السادس إذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملاً وأثبت كل منهم فائدته وقرّر منفعته فهل يجوز لأحد تكذيبهم مع استحالة تواطئهم على الكذب ومع أن عيونهم عيون الناس أهل العلم والفضل وما أنت وعلمك بالنسبة إليهم إلاّ كفحام عند جوهري أو كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي فالأولى أنّك تعترف لهم فإذا فاتتك صحبتهم لا تفوتك محبتهم وإذا لم تحبّهم فلا تسبّهم . شعر

وَإِذَا كُنْتَ بِالمَدَارِكِ غِرّاً ثُمَّ أَبْصَرْتَ حَاذِقاً لاَ تُمَارِ
وَإِذَا لَمْ تَرَ الهِلاَلَ فَسَلِّمْ لأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِالأَبْصَارِ

السابع قد علمت أنّ أحكام الشرع لا تثبت إلاّ بدليل وأن يكون نصّاً لا محتملاً ولا عاماً مخصوصاً كـ« كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » لما يلزم عليه من الفساد إذ من البدعة ما هو واجب ولو تنزلنا وفرضنا أن عمل الرابطة لا دليل لنا عليه

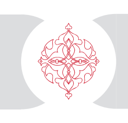


وإنما فعلناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة فالإنكار علينا من أيّ وجه وما دليله ولقد أصبت بقولي في الرسالة المهملة شعري

حَسَدَ المرء والمراد مراد الله ما لإمرئٍ سواه عماد
ما أراد الإله إسعَاد مَمْلُوكٍ وأَردَى مُرَادَهُ الحُسَّادُ

الثامن وهو ضرب مثل أمر الملك طبيبه الحاذق الحكيم بمداواة أهل مملكته من أمراض غلبت على أكثرهم أضرُّها البطن حتى آلت بالأكثر إلى عدم القيام بالخدمة وكان الطبيب حكيماً ماهراً وعالماً راسخاً وعارفاً كاملاً ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقال في نفسه تنفيذُ هذا الأمر من أهمّ المهمّات وأوجب الواجبات وتعليمه لمن يتأهّل للقيام بعمله موجب لدوام الأجر والمثوبات و« خَيْرُ العَمَلِ مَا نَفَعَ » و« إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ أحدها عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ . . . » .

فقصد إلى بعض المرضى ممن تفرَّس فيه وعرف أنه يكون أهلاً للقيام بهذه الوظيفة وتنفيذها على وجه المراد إذا عوفي فعالجه حتى عوفي ثم علّمه الطبّ والحكمة وأخبره بالأدوية وخواصها وأعطاه دواء البطن وقال له خذ هذا الدواء وانفع به الناس ولا تسأل عليه أجراً وكن محتسباً لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك فإنّ أحبّ الأعمال إلى الملك عملُك هذا . فقال سمعاً وطاعةً . فنظر النائب بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو فإذا هو عسل أبيض فقال الحمد لله فيه شفاء للناس . فأتاه شخص أحمق مثلك أيها الأخ بصّرك الله بعيبك ووفّقك لترقيع جيبك فقال ما هذا الذي عندك فقال



دواء البطن للمبطونين فقال أرني إيّاه فأظهره له في ظرف مختوم على فيه فاشتمَّه من قبله فقال له ما هذا دواء البطن هذا سمٌّ أتيت تهلك الناس به هذا سمّ ساعة فقال يا أخي هذا عسل مصفّى هذا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾ فذقه حتى تعلمَ فقال له ما أنت أعلم به منّي ولا أعرف منّي من ذاق هذا هلك .

أيها الناس هذا ما أنزل الله به من سلطان . وأكثر الناس حمقى **وشبه الشيء منجذب إليه** فترك الناس التداوي به مع شدّة حاجتهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور . فلا يزال يتكلّم في ذم الدواء والمداوي والمتداوي ويصدّ عنه من أراد شفاء مرضه الذي عطّله عن خدمة الملك و﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡ﴾ ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ .

التاسع من المعلوم أنا لم نبتكر شيئاً جديداً وإنما قلّدنا من تقدّمنا من العلماء العاملين والأكابر العارفين من أهل المذاهب الأربعة كما سترى تقريرهم الرابطة وكيفيّاتها بل أقسم أن جميع حركاتي وسكناتي في الطريقة هو ما عليه أئمة مذهبي الشافعية وقد استوفت كتبهم جميع ما نتعاطاه من الأعمال المخصوصة فما وجه الإنكار علينا مع اتباعنا أئمة الدين والعلماء العاملين كالغزالي والنووي والقاضي زكريّا وابن حجر والشعراني والمناوي أتظنّ أن إنكارك ما يتوجّه على أولئك السادة الأبرار والأولياء الأخيار وأولي الأنوار والأسرار أما تخشى محاربة الواحد القهّار أما علمت أن الإنكار عليهم يؤول بصاحبه إلى سوء الخاتمة ودخول النار أتظن أنّ إنكارك ظاهراً

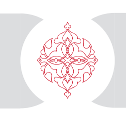


واعترافك باطناً ليس من التلبيس ومشاكلة إبليس ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تنبّه لنفسك أيها المغرور واخش عواقب الأمور ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ **وإنما** أوردناها نصيحة وإفادة وترغيباً وترهيباً و« لكلِّ امرِئٍ مَا نَوَى » ونسأل الله أن يمنّ عليك بالهداية وأن يجنّبك الإصرار في سبيل الأشرار .

اعلم يا أخي أن سبب الإنكار أحد الأمرين لا يخلو من أحدهما كلّ منكر الجهل وهو الأكثر وعدم العمل بالعلم وهو الأغلب على من ينتسب إليه فإن كنت جاهلاً يا أخي فلا تقف ما ليس لك به علم فتقع في الظلم ولا تقل (هذا حلال وهذا حرام) لتحكم بغير ما أنزل الله به ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وإن كنت عالماً فاعمل يا أخي بعلمك ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله . انتهى .

فما أحسن هذا الكلام وما أصدقه فلم يبق بعد ذلك لقائل منكر إلاّ الإقرار والاعتراف ولا لمجيب للسائل إلاّ السكوت والاكتفاء به فجزى الله تعالى لمؤلّفه خير الجزاء . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

وفي « البهجة السنية » **ثم اعلم** أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرّف بقوّة الولاية لأنّ الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها فبالرابطة يستفيد الشيوخ عن الصبيان الكاملين ويستفيض الأحياء عن الأموات المتصرّفين لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرّف ولاية روحانية المفيض وتتصرّف فيه الروحانية



وتفيض عليه من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية وتبلّغه إلى الحضرات العلية سواء كان المفيض ميتاً أو حيّاً وسواء عرف ذلك أم لم يعرف .

ثم اعلم أن كيفية الرابطة مع الأموات أن يجرد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعية ويعري قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونية ثم يتصوّر روحانية ذلك الميت نوراً مجرّداً عن الكيفيات المحسوسة ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت أو حال من أحواله لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات فمن أدخل المنبع في قلبه ينال فيضه البتة .

وأما إن كانت الرابطة عند قبر ميت فلا بدّ أن يسلّم على صاحب ذلك القبر ثم يقف في طرف اليمين قريباً من رجله ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرّته ويطرق رأسه على صدره ثم يقرأ سورة الفاتحة (مرة) وسورة الإخلاص (إحدى عشرة مرة) وآية الكرسي (مرة) ويهب ثوابها لذلك الميت ثم يجلس عنده ويتوجه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة كذلك لقوله ﷺ « إِذَا تَحَيَّرْتُمْ فِي الأُمُورِ فَاسْتَعِينُوا مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » فمن توجه من محله إلى روحانية النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنورة يستفيض منه وكذلك إذا توجه أحد من محله إلى روحانية الأولياء في قبورهم ينتفع بهم **فالرابطة من غير توجُّه كافية في الاستفاضة** نعم إذا اجتمعت الرابطة مع التوجه فنور على النور لكن المدار على قوة الرابطة فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطريقة وكمالات الحقيقة ومن اختلّت رابطته انقطعت استفاضته ولم تحصل له أحوال السلوك ولم تظهر له أسرار الوصول .

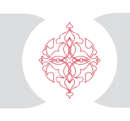
آداب الرابطة

وأما آداب الرابطة فهي

أن يعتقد المريد أنّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيته وأنّ روحانيته ليست مقيدة بمكان دون مكان ففي أيّ مكان يتصوّره تحضر فيه روحانيته . وأن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى . وأن يحفظ محبة شيخه . وأن يراعي نسبته في كل حال . وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده . وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً .

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إن لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة فإن قدر عليه يجب عليه أن يترك الرابطة لأنّ الاشتغال بالرابطة حينئذ اعتبار التنزل عن الترقي وترجيح مرتبة الحجاب على مقام الشهود وذلك إعراض عن الله تعالى ولكن لا يترك محبة الشيخ ولا يترك نسبته لأنّ حفظ المحبة والنسبة يزيد المشاهدة ويقرب السالك إلى مقام الأنس والمحادثة .

تنبيه قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين له هو الذي حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله تعالى الأَتَمَّيْنِ ولكن هنا مزلة الأقدام لأن هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها



ونهايتها في بدايتها فربما يحصل للمريد بعض أحوال قبل فنائه فضلاً عن حصول بقائه فيظن كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يجعلوه رابطة فيخسر هو ومن رابطه به فلا بدَّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ويأمره بذلك . انتهى ٤١ .

وفي أثناء مكتوب القطب خالد شاه ما نصّه وصرّح محققو طريقتنا بأنّ رابطة من لم يَفْنَ عن وجوده لا تورث الفناء للسالك بل قد تورّطه المهالك . . إلخ . فراجع « البهجة » في ٤٢ تجد المكتوب فيه بالتمام .

وفيه إن حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قدّس سرّه لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلاّ بعد أمر شيخه له بذلك وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأَتَمَّيْنِ ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك . انتهى ٤٣ .

وفيه وقد قدّمنا أن حضرة إمام الطريقة المعروف بـ (شاه النقشبند) قدّس سرّه تربّى من روحانية سيدنا وإمامنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه وبينهما خمسة وسائط وكذلك أبو الحسن الخرقاني قدّس سرّه لم يدرك أبا يزيد البسطامي قدّس سرّه بل ولد بعد وفاته وأبو يزيد أيضاً لم يدرك القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي تعالى الله عنهم أجمعين وعنّا بهم بل ولد بعد وفاته بزمان طويل كما قدمنا ذلك مفصّلاً .

واعلم أن جناب سيدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدّس سرّه خرجت روحه الزكية من الدنيا إلى المقامات العليَّة من الآخرة ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ولم يأذن لأحد بأن يجعل

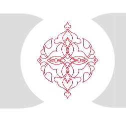


نفسه رابطة فيما نعلم بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدمنا لك بعضه وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول ما عندي مريد بل إسماعيل نصف مريد – يعني جناب سيدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته قدّس سرّه وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة مع أنه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ومنصوب مقامه . انتهى ٤٣ .

وقد استوفيت في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ما وقع لبعض خلفاء خالد قدّس سرّه إذا أمر المريدين برابطة نفسه من غير إذنه . فراجعه .

ومن هنا أمرني شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه بكتبة الكتاب لدى الشيخ موسى القراني عفا الله عنه حين سمع أنه يأمر المريدين برابطة نفسه بأن ذلك ممّا لا يجوز فكتبته لديه فترك الأمر برابطة نفسه بعده . وأيضاً كان واحد من خلفاء أحمد التلالي قدّس سرّه يأمر المريدين برابطة نفسه فأنكر عليه شيخنا قدّس سرّه إنكاراً ظاهراً ونصحه نصحاً بليغاً لكنَّه لم يقبل نصيحته بل استمرّ على ذلك فلم ينتج لأحد من مريديه بشيء عفا الله عنه آمين .

وكان شيخنا المذكور يقول إن شيخه الحاج جبرائيل أفندي قال له عشر مرّات يا ولدي لا تسلّط الشياطين على المريدين بأمرك إيّاهم برابطة نفسك وقد قلت له ألا يجوز لنا رابطة نفسك فقال لا .



وقال لي مرة يجوز الرابطة بنفسنا حين كان المريد عندنا لأن الشيطان لا يقدر أن يقرب بمكان كنا فيه وأما إذا غاب المريد فلا يجوز له الرابطة بنا لأنّ الشيطان يقدر أن يتصوّر بصورتنا .

وأما سبب رابطة الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه فقد سمعت شيخنا قدّس سرّه يقول إنه كان هو ومريدوه يرابطون بالشيخ خالد قدّس سرّه لكنه قال يا أولادي حصل لي الكمال بالشيخ خالد والشيخ محمد نقشبند وحصل لي الكمال بالنبي ﷺ وأرى الخضر عليه السّلام دائماً فالآن كملت عن الشيخ خالد فرابطوا الآن بنفسي . فبعد ذلك قال له المريدون إن البركة تحصل لنا برابطة نفسك فأقرّهم على ذلك . انتهى .

وسمعته يحكي عن الشيخ محمود أفندي أنه كان يقول لو رابط إليّ المريد متوجّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينه وبينهما فإن وقف يحترق بنوري . انتهى .

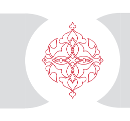
وكان يقول إنه كان في الخلوة فحين خرجت للوضوء وقف قبالتي شيء عظيم له قرون مرفوعة إلى السماء فعلمت أنه الشيطان فرابطت بالشيخ محمود قدّس سرّه فزال في الوقت وغاب عني ثم بعد ذلك وقف قبالتي أيضاً شيء عظيم أسود كالمنبر العظيم فرابطته قدّس سرّه فغاب في الحال . انتهى .

وهذا الحقير الفقير قد كان في السلوك فرأى في الواقعة كأنّ الشياطين داروا حوله فحين علم أنهم شياطين قرأ السلسلة الشريفة فحين ذكر اسم الشيخ عبد الرحمن المذكور تفرّقوا عني وبعدوا فحين أخبره الواقعة قال لي

ذا لأجل كونك فانياً فيّ . ولم يزد على ذلك ثم أخبرني ما مرّ من وقائعه قدّس سرّه .

وكان قدّس سرّه يقول لي إن أطقْتَ أن تفني نفسك في ذات الشيخ محمود أفندي وتتوجَّه إلى المريد وقت التلقين ووقت التوجّه فذا وإلاّ فتصوّر صورة روحانيته قبالتك أي بينك وبين المريد ثم تلقّن وتتوجّه . انتهى .

فائدة لا بدّ من كتابته هنا ذكر الخاني في « الحدائق الوردية » ما حاصله أنّ سلطان العارفين أبا يزيد طيفور البسطامي قدّس سرّه تلقّى سرّ هذه النسبة الشريفة بالروحانية من الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه لكن الشيخ محمد أسعد تكلم على ذلك في « الفيوضات الخالدية » فقال **أبو يزيد وهو عن جسمانية إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر بن الإمام محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما لا عن روحانيته فقط** كما أورد كثير من المتأخرين فزعم بذلك بعض المعاصرين انقطاع يد السلسلة النقشبندية ونسبه للواسطي في « روضة الناظرين » المنسوبة للشيخ الوتري . والله أعلم بحقيقة الحال **وإنها بحمده تعالى واصلة للحضرة الصديقية** فإن ملاقات أبي يزيد البسطامي لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما وكونه سقاء في داره أوردها جماعة من أصحاب التاريخ وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية والرضيُّ في « كتاب الطرائق » والعلاّمة الحلبي في شرحه على « التجريد » وبعد شهادة هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب كـ « شرح المواقف » فقفا ذلك كثير من المتأخرين كالعلاّمة محمد بن سليمان البغدادي



صاحب « الحديقة » والحيدري والخاني في « بهجته » كحفيده وأضرابهم حتى تسبّبوا فى القول المدسوس على الواسطي من أنها انقطعت يد السلسلة النقشبندية والمتسبب كالقائل وعدم التثبُّت يوقع في أعظمَ من هذا ونظير هذا إقرار الخاني القصيدة القافية التي مطلعها

تَبَـدَّتْ لَنَـا أَعْـلامُ عِلْمِ الهُـدَى صِدْقَا　　فَصَـارَ لِشَـمْسِ الدِّيـنِ مَغْرِبُنَا مشـرقَا

مع أنّ القصيدة في بهجة سيدنا الغوث الجيلاني رضي الله تعالى عنه في مدح سيدنا أبي مدين الغوث رضي الله تعالى عنه إلاّ بيتين منها صدرهما

أَيَا خَالِدٌ . . . إلخ

مع أن بين المؤلفين أحقاباً ولولا ما زعمه أولاده من خلافة أبيهم في الطريقة القادرية وارتقائه على سددها استعذر عنه بعدم وقوفه عليها فتبايُنُ الحالين يوجب إحدى الوصمتين ثم ربّما يرفع التنافي بين كلام « شرح المواقف » فقط وكلام غيره من البين بجعل المسمّى بهذا الاسم اثنين أحدهما طيفور السقاء الذي صحب سيدنا الإمام جعفر الصادق وخدمه والآخر شخص غيره .

قال ابن زهرة الأندلسي في تاريخه أبو يزيد البسطامي خدم أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه سنين عديدة وكان يسمّيه طيفور السقَّا لأنه كان سقاء داره ثم رخص له في الرجوع إلى بسطام . هذا وقد وقع الاشتراك في الأسماء في كثير . انتهى فراجع في ٣٩ من هامش « نور الهداية » .



وأما اجتماع الحسن البصري بعليّ المرتضى كرّم الله وجهه فقد بسطت الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » في موضعين وأثْبتُّ ذلك بالنقول الموثوقة فإن أردت الوقوف عليه فعليك بالمراجعة إليه .

وللنقشبندية ثلاث سلاسل

الأولى هي المتصلة من النبي عليه السلام إلى الإمام عليّ رضي الله عنه ومنه إلى الإمام حسين رضي الله عنه ومنه إلى سيدنا الإمام زين العابدين ومنه إلى الإمام محمد الباقي ومنه إلى الإمام جعفر الصادق ومنه إلى الإمام موسى الكاظم إلى علي الرضا إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى جنيد البغدادي إلى أبي علي الروزباري إلى أبي علي الكاتب إلى أبي عثمان المغربي إلى أبي القاسم الكركاني إلى أبي علي الفارمدي شيخ السلسلة الثالثة .

السلسلة الثانية وهي المتصلة من النبي عليه السلام إلى علي المرتضى رضي الله عنه إلى الحسن البصري إلى حبيب العجمي إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي شيخ السلسلة الأولى .

السلسلة الثالثة وهي السلسلة المتصلة من النبي عليه السّلام إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى سلمان الفارسي إلى سيدنا القاسم حفيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى جعفر الصادق إلى أبي يزيد البسطامي إلى أبي الحسن الخرقاني إلى أبي علي الفارمدي إلى يوسف الهمداني إلى عبد الخالق الغجدواني إلى عارف الريوكري إلى آخر السلسة . **فبهذا** السند وصل إلينا هذا الطريق العالي فلله الحمد والمنة ورزقنا التوفيق والاستقامة . آمين .

ويكفي للمنصف الغير المتعصب ما ذكرته والمعاند المتعصب لا يرجع عن تعصّبه أصلاً . وقد مرّ أنّي حين استخرت الله تعالى في جمع كتاب في بيان أقوال الأكابر في استحسان الرابطة وقعت الإشارة بقوله تعالى ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ الآية . فحصل لي بذلك قبض شديد خوفاً من دوام الولد العالم السائل على اعتراضه وإنكاره لكن الرجاء لا ينقطع ولا ييأس من رحمة الله إلاّ القوم الخاسرون .

فتدبّر أيها الولد في جميع ما ذكرته في هذه الرسالة واحسب علمك وعلم هؤلاء السادات القادات أكابر العلماء أهل السعادات تجِدْ ما عندك من العلم كقطرة بالنسبة إلى البحر .

ومن المتيقن المعلوم لدى كلّ عالم عاقل أن هؤلاء الأئمة المذكورين القائلين بحسن الرابطة أعلم منّا بمعاني الكتاب والسنة بآلاف ألوف ألوف .

واعلم أيها الولد إنما كتبت لك هذا لمجرّد النصيحة لك ولجميع المسلمين لا عناداً ولا حسداً فنعوذ بالله من ذلك وأنت إن شاء الله تعالى تعلم لو كنتَ ممّن أراد الله بهم الهداية أنّ ما كتبتَ إليّ من الشبه بتحرير الآيات ونقل ما في « إغاثة اللهفان » لابن القيم ليس ذلك واقعاً في موقعه بل جميعها شبهات مصروفة من ظواهرها والآيات التي أوردها المانعون من التوسّل في إثبات دعواهم واردة في حقّ الكفّار وعبّاد الأصنام لا في حق الموحّدين كما بسط النبهاني الكلام فيها في « شواهد الحق » والفقهاء الأعلام المتّقون في كتبهم في مواضع عديدة . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيّئات

قبائح أعمالنا . آمين . فإن كان لك بعد الآن شبهة مّا في حق ما كان مشائخنا المتقدّمون يفعلونه فاكتبها إلينا لننظر إليها ونجيبه بعون الله .

وقد كتبتَ إليّ أيضاً أنك لا تقبل ما يفعله النقشبنديّون إلاّ بحديث صحيح بل خرّبت نسبتهم بالكلية فشوم هذا القول قد وصلت قطرته إلى جميع السلسلة كما رشح الضرر إليهم بما كتبته في حق الرابطة بل أنت نفيت جميع ما استدلّ به العلماء من المذاهب الأربعة وقلت إنّ ذلك عبث لا فائدة فيه وصرّحت بأنك لا تطيعهم فيما أمرهم ونهاهم فهلاّ تركت هذا التصريح وصدّقتَهم وامتثلتهم ولم تستقلّ بعقلك وعلمك ورأيك ففي ذلك خير كثير فكيف لا وقد قيل التصديق بطريق الولاية ولاية .

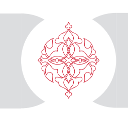
وفي « لطائف المنن » لابن عطاء الله وإذا أراد الله بعبد خيراً جعله من المصدّقين لأولياء الله تعالى فيما جاؤوا به وإن قصر عقله عن إدراك ذلك . انتهى .

وقد مرّ ما قاله ابن حجر من أنّه يجب الأخذ بأقوالهم يعني أقوال العلماء المتقين والفقهاء الصالحين لأنهم علم الأمة واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ومن خالفهم متّبع هواه . انتهى .

أيها الولد إنّك كنت من قبل سلكت على يدنا في تلك الطريقة فماذا رأيت فيها من الخيانة والحال أنّ تلك الطريقة هي التي قد شهدها ابن حجر[1] بأنّها الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية كما في « الفتاوى الحديثية » .

---

[1] مع أنه من القادريّة . (منه) .



وقد قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » في حقها وأما شرعيّتها وتطبيقها على المذهب فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ القرآن وحقيقة العرفان وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً كما سيأتي البيان . انتهى في ١١١ .

وفيه أيضاً وبالجملة إنه طريق وعلم وعرفان وشأن وكمال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا عوج في بدايته ونهايته ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ . انتهى في ١١٢ .

قال الإمام الرباني **اعلم** أنّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدلّ وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل هو الطريقة النقشبندية العلية قدّس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها وكل عظمة هذا الطريق وعلوّ شأن هؤلاء الأكابر بواسطةِ التزام متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية واجتنابِ البدعة الغير المرضية وهم الذين اندرجت نهاية الأمر في بدايتهم كالأصحاب الكرام عليهم الرضوان من الملك المنّان وكان شعورهم وحضورهم على سبيل الدوام وصار فوق شعور الآخرين بعد الوصول إلى درجة الكمال . انتهى . كذا في « مكتوباته » .

وقد قالوا في حقها أيضاً **انها هي الطريقة الباقية على أصلها لم ينقصوا منها ولم يزيدوا شيئاً** كما هو مذكور في غير كتاب من كتبهم . وقد مدح الشاذليون طريقتهم بكونها عين الطريقة النقشبندية وقالوا إنها أمّ الطرق وسلطان الطرق كما هو مذكور أيضاً في الكتب .

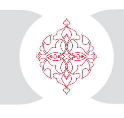


وقد كنت كتبت إليك ما ورد في حقها من الأحاديث في حق تلقينه عليه السّلام جماعة وفرادى المرويّ بسند صحيح الذي رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس والحديث الذي أخرج ابن حنبل أيضاً في مسنده عن شدّاد بن أوس بسند حسن .

وكنت كتبت إليك أيضاً أن النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية التي أخذها الصديق الأكبر ﵁ بالتوجه عن رسول الله عليه السّلام وذلك لتعلم أن لهم نسبة صحيحة وسنداً حسناً وسلسلتهم متصلة لا منقطعة وليكون جواباً لاعتراضك عليها بعدم كون الحديث لها وأنكرت علماء الأمة أجمعين ولم يشف قلبك بشيء أثبتها المشائخ وأكابر العارفين الذين أذهبوا أعمارهم في إحياء سنن سيد المرسلين فيا ليتك لم تتكلم خلف هؤلاء الصالحين ويا ليتك لم تدخل مداخل المنكرين المحرومين .

ألم تَرَ ما قاله بعض الأكابر **وأشقى الخلائق الطاعن بهذه الطائفة** . انتهى . وكذا ما قاله ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » فاحذر أن تكون ممن يتحسَّى كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته فقد قال على لسان الصادق المصدق « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » أي أعلمته أنّي محاربٌ له .

قال الأئمة ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلاّ للمنكرين على أوليائه وآكلي الربا **ومن حاربه الله لايفلح أبداً** . انتهى ٢٣٩ .



فما لك أن تنكر جميع العلماء الصالحين وتعترض على أولياء الله المتقين أليس النبي عليه السّلام قد قال « عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل » ولكل نبي نظير في أمّته ونظير أمّتي العلماء كما قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ . وقال النبي ﷺ « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء » .

ثمّ الورثة على ثلاثة أقسام

فالعلماء الظاهرية المحضة بمنزلة ذوي الأرحام

والعلماء الباطنية بمنزلة ذوي الفروض

والعلماء الجامعة للظاهر والباطن بمنزلة العصبات الكاملة الأقرب فالأقرب **القطب** بمنزلة الابن الصلبي **وقطب الأنبياء** عليهم السّلام **محمد المصطفى** ﷺ لأنه خاتم النبيين **وقطب الأولياء عليّ** رضي الله عنه لأنه خاتم الخلفاء الأربعة الكاملين . فسلسلة التلقين الأصلي من نبينا محمد ﷺ إلى عليّ ومنه إلى المشائخ واحداً بعد واحد على ما بيّنه أحمد الزركراني في رسالته في الفصل الرابع .

وقال رحمه الله تعالى ما نصه هذا **الفصل الثاني** في بيان إثبات الطريقة بالتلقين بالكتاب والسنة وإجماع الخواص من لدن رسول الله ﷺ إلى وقت الساعة قال الله تعالى في حق أصحاب الصفة ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ .

سبب نزولها روي في « بستان الشريعة » أن علياً رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً فتوجّه النبي ﷺ فنزل الوحي



بقوله تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ مقارناً بالعلم اللدني تنبيهاً على أن هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعلم الله ثمّ قعد جبرائيل مربّعاً كالمعلِّم فلقّن النبي ﷺ « لا إله إلاّ الله » (ثلاث مرات) ثمّ أمره أن يلقّن عليّاً لأنه أوّل من التمس التلقين ثمّ حضره أربعمائة من الصحابة فلقّنهم جميعاً ثمّ قال ﷺ « رَجَعْنَا مِنْ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ » وقال عليه السّلام « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ حَتَى نَفي مَنْ قَال الله الله » يعني بالقلب الحي **وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر** فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً . انتهى .

هذا دليل المشائخ واتصل سلسلتهم بسيد الإنس والجان عليه الصّلاة والسّلام فتدبّر في هذا وفيما يأتي تعلم خرافة قولك بأنك لا تقبل اتصال سندهم ونسبتهم أيها الولد المرجوّ للرجوع عن هذه الخرافات .

وفي « الفتاوى العمرية » وأما تلقين المشائخ الذكر على المريدين فحسن محبوب وثابت بالأدلة الأربعة على وفق السنة المحمدية فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه الذكر جماعة وفرادى .



فأما تلقينهم فرادى

فقد روى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه سأل النبي ﷺ دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباد الله تعالى وأفضلها عند الله عزّ وجلّ فقال عليه السّلام « يَا عَلِيُّ عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي الخَلوَاتِ وَالجَلوَاتِ » فقال عليّ كيف أذكر فقال ﷺ « غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَسْمَعُ » فقال عليه السلام « لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » ثلاث مرات مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافِعاً صَوْتَهُ وَعَلِيّ يَسْمَعُ . ثم قال عليّ رضي الله عنه **لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله** ثلاث مرات مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافِعاً صَوْتَهُ وَالنَّبِيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم يَسْمَعُ . قال النبي ﷺ « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِن قَبْلِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ولاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَال فِي الأَرْضِ الله الله » رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس[١] .

فهذه نسبة عليّ كرّم الله وجهه في تلقين الأذكار الجهرية . « فتاوى الخليلي » .

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية أي سواء كان لفظة (الله الله) أو النفي والإثبات والمراقبة والحضور من غير حركة اللسان وهي نسبة الصدّيق الأعظم التي اختصّ بها الصدّيق دون سائر الصحابة أخذها باطناً بالتوجّه عن رسول الله ﷺ لقوله عليه السّلام « مَا صَبَّ الله فِي صَدْرِي شَيئاً

[١] وأعقب مؤلّف « هدية الذاكرين » بعد هذا بما نصه هذا وكذا تعليمه لغيره مثل أبي بكر الصديق فراجعه . (منه) .



إلاّ وصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » وكذا قوله عليه السّلام من ربّه « مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ بَل بِشَيْءٍ[١] وقر فِي قَلْبِهِ » .

فالحديث الأول دليل السادات النقشبندية لثبوت التوجه وإلقاء الذكر والمحبّة والجذبة في قلب المريد ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين** الصديقية والعلوية فهما أصلان وعليهما عون الرحمن .

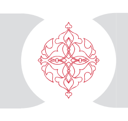
وأما تلقينهم جماعة

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أنه قال كنا عند النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال « هَلْ فِيكُمْ غرِيبٌ » يعني أهل الكتاب أو من لم يطّلع على أسرار الشريعة فقلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال « اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا كذلك لا إله إلاّ الله ثم وضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده ووضعنا ثمّ قال « الحَمْدُ للهِ أَللهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهذِهِ الكَلِمَةِ وَأَمَرْتَنِي بها وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الجَنَّةَ وَإِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ » ثم قال عليه السّلام[٢] « أَلاَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ » . قال المنذري إسناده حسن « مسند إمام حنبلي » . انتهى .

---

[١] وهو الذكر القلبي كذا في « جامع أصول الأولياء » . (منه) .

[٢] وهذا الحديث ذكره الشعراني في « النفحات » ونقل في « الحدائق الوردية » برواية الطبراني والإمام أحمد والبزاز وغيرهم بإسناد حسن فراجعه . منه في ٦ .



وهكذا بل عينه ذكره مؤلّف « هدية الذاكرين » وذكره أيضاً أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي **والحاصل** أن التوجُّه الملقَّن المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى المشائخ الكبار قدّس سرّهم سحاب الفيوضات **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان من انتظر بالصدق وصل ومن انتهى بالغفلة غفل** . انتهى . فراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » لسليمان الزهدي .

وقال الشيخ الزهدي أيضاً أوَّل توجه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات مرة للتخلية ومرة للتحلية ومرة لإلقاء الوحي والرسالة في غار جبل حراء .

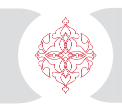
وفي غار ثور توجه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه وهو التوجه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى . فراجع « نهجة السالكين » من هامش في ٢٧ من « مجموعة الرسائل » ومثله ذكره في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ فراجعهما .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه بعد ذكره كلاماً وما ذكر بلفظ منه لم يكن دليلاً لأصول الطريقة العلية بل بياناً على أن الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة وأنها تلقين خاصٌّ إلى أهله لا شعور للعوام على ذلك الأصول من أجل ذلك لا يحتاج السند والدليل من غيرهم . فإنّ رجال الطريقة العلية ثقاة وصلت هذه الأصول والتلقين من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى الرجال الثقات ذوي الجناحين المجردة عن الكدورات البشرية والنفسية وهم

البررة الكرام صاحب الأمانة معنعناً مسلسلاً وصلة تامّة إلى الآن وإلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى . والأحاديث المذكورة من الكتب المعتبرة المشهورة بعضها من تفسير « روح البيان » ومن كتاب « كشف الأسرار » ومن « حكمة الإشراق » وأكثرها من « الجامع الصغير » وكلها مستندة في أصلها السلام على من له الهداية والدراية . انتهى . راجع « مجموعة الرسائل » في ١٢ .

فثبت من هذه المذكورات كون سلسلة السادات النقشبندية متصلة وكون الأحاديث الواردة في حق التعليم والتلقين صحيحة وحسنة فبطل به قول من كتب إلينا بما نصه يسلسل النقشبنديون سلسلتهم إلى النبي ﷺ وأبي بكر ؓ وسلمان الفارسي ؓ ويقولون أن النبي ﷺ لقَّن أبا بكر ؓ الذكر ممتازاً عما سواه وأن أبا بكر لقن أيضاً سلمان ؓ . وأقول لا بأس أنه مما يجوز أن يكون ولكن لا نقبل ذلك إلاّ بسند صحيح فهلاّ يأتي النقشبنديون بسند نقبله . انتهى .

ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قاله البعض بـ(أن ليس لأهل الطريقة سند) ولم يدر أن لهم سنداً صحيحاً وأنهم لم يخترعوا شيئاً ما برأيهم ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ولا يحيط بجميع ما ورد كل أحد وما يجهله أحد يعلمه غيره فانظر ما ذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكرَّاسة ولا تقف ما ليس لك به علم **واعلم** أن نور الله لا يطفأ بنفخ بل الله يؤيّد دينه ولو كره المبطلون وينصر من ينصره ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ الآية والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار والمنكرون يريدون إطفاءها والله متمّ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية .



واعلم أن المنكر المتعصِّب لو كان بذل جهده وطاقته لإطفاء ظلمات الخلق وتصفية كدورات الناس وأنكر بدل هذا الإنكار[١] على شارب المسكر وشارب الدخان والحشيش ومرتكب الحرام والمكروه والخسيس وغيرها من اللمم والفواحش لكان خيراً له وأصلحَ لدينه ودنياه وآخرته لكنه التجأ على هؤلاء السادات وأنكر جميعَهم من أولهم إلى آخرهم واجتهد في ردّ الناس عن الخيرات وأدخلهم بقوله في زمرة المشركين . عفا الله عنه وعنّا آمين .

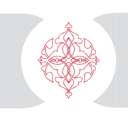
وأيضاً قد كان في ديارنا متشيّخون كذّابون يفعلون ما لا أصل له ويعلّمون الناس أموراً مخترعة ويتصدّرون للإرشاد بأنفسهم بلا إجازة من المشائخ وقد عمّت بهم البلوى في الدين والدنيا بحيث لا يخفى على عاقل ومع ذلك سكت هذا المنكر وأضرابه عن إظهار الحق وإبطال الباطل ولم يقل لهؤلاء القوم ولو حرفاً مّا على قصد النصيحة بل داراهم ما كان في دارهم ووافقهم في أغراضهم الباطلة . وأمّا نحن وإن كنّا ناقصين فقد سلكنا في مسالك الطريقة إلى مقام المشرب المحمديّ وأجازنا مشائخنا ولا نفعل شيئاً مّا يخالف أصولهم فالإنكار علينا والسكوت عن هؤلاء ليس من الإنصاف ولا عجب ولم يخل عصر من الأعصار إلاّ وفيه الحسّاد والمعاندون لهذه الطائفة لكن الله تعالى أيّدهم بفضله وزاد أنوارهم فلله الحمد .

---

[١] أي إنكار أهل الطريقة . (منه) .



فهذا رئيس الطائفة خالد البغدادي الذي أقرّ بفضله وقطبيّته علماء عصره لم يخل في ابتداء حاله من حاسد وإن كان الكل من علماء وقته بعد ذلك يحترمونه فقام عليه أهل العناد ينحون الناس عن طرق السداد لأنه لا بدّ للوليّ من خوارق العادات وقد أعماهم الحسد عن تلك الآيات فكتب حضرة الإمام الماجد هذا الخطاب المستطاب **ما قول** مشائخ الإسلام والعلماء الأعلام من أهل الحديث والتصوف والقضاء والإفتاء والتدريس والأحكام نفع الله تعالى بعلومهم وبركات أنفاسهم الأنام وأحلّهم أعلى فراديس دار السلام فيمن كان أشعري الاعتقاد شافعيّ المذهب نقشبنديّاً وقادريّاً في المشرب حاثّاً على اتباع السنة السنية النبوية محذِّراً عن كل بدعة غير مرضية مقتفياً ما استطاع على آثار السلف الصالحين معرضاً عن الدنيا وأهلها لا تأخذه لومة لائم في الدين يحبّب الله إلى عباده ويسلكهم طريق عباده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومن تردّد إليه بحسن النية استيقظ من سِنَةِ الغفلة وبدوام الذكر تجلّى وتذكّر وله في الباطن قوّة تصرّف يقتدر بها بعون الله تعالى على التأثير في المريدين وإلقاء الجذبات الإلهية في قلوب المسترشدين ورفع الحجب ونفي ما سوى الله تعالى أو تقليله عن قلوبهم مع أمور اخر من أسرار الطريقة مما ينبغي كتمه على غير أهله وحبّ العبادة والشوق إليها مع الخشوع والمواظبة على أداء الفرائض بالجماعة وعلى سنن الرواتب والإشراق والضحى والأوّابين والتهجّد وقلّة الهجوع وكثرة الجوع ولا أقلّ فيهم من المداومة على الذكر الخفي الثابت فضله على الجهري بسبعين درجة على الوجه الواضح الوفي وكان مأذوناً



بل مأموراً من طرف شيخه المأمور كذلك وهكذا بتلقين الذكر والإرشاد للطالبين وتعليمهم آداب الطريقة النقشبندية والطريقة العلية القادرية على سنن الأسلاف الماضين وحثّهم على اتباع الشرع الشريف والسنن النبوية وتحذيرهم عن البدع الرديّة فهل يكتفي حينئذ لجواز التلقين والإرشاد بما تقدّم من المكارم والسداد أم يشترط مع ذلك كله بعض خوارق كونية وكرامات حسيّة ممّا ألفت طباع العوام بطلبه من المشائخ كالمشي على الماء والطيران في الهواء والإنفاق من الغيب وعلى جواز إرشاده للمسلمين من غير اشتراط تلك الأمور على ما هو المقرّر عند أساطين الكشف وأئمة الوجدان من المتقدّمين والمتأخرين فهل يحكم بوجوب الإرشاد نظراً إلى قلّة هذه الأمور النفيسة وانتفائها ظاهراً في أكثر أقطار الإسلام أو مندوبة كما هو ظاهر أو بجوازه مطلقاً أو بتغيره بالنسبة إلى أشخاص المريدين قياساً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجوبه تارة وندبه أخرى وكراهته مرّة وحرمته أخرى وهل يجوز الإرشاد بلا تصرّف باطني قياساً عليهما وعلى تقدير أن يشترط في حقيقة الإرشاد أمور فإذا انتفت أيمتنع أو يحكم بجوازه عند فقدانها كقضاة الضّرورة الموجودين الآن المحكوم بنفوذ أحكامهم مع عدم جمعهم شرائط القضاة أم لا أفتونا مأجورين بردّ الجواب واضحاً على الوجه الصواب لا زلتم موفّقين لمرضاة العليم الوهاب . انتهى من « الفيوضات الخالدية »[1]

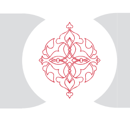
---

[1] فائدة جاء في الحديث عن النبي ﷺ « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوف » وقال رجل لإمام أحمد بن حنبل هؤلاء الصوفية جلسوا في المسجد بلا علم فقال العلم أجلسهم في المسجد

فهذا الحقير المؤلّف المرشد المجازي كالقاضي الضروري يقول ما قاله هذا القطب المذكور وإن كان خالفاً عن التخلق بأدنى شيء ممّا ذكره بيد أنه قد أجازه مشائخه في تلقين الأذكار في الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية واحد منهم في الثلاثة واثنان في النقشبندية خاصة وله في فنون العلوم النقلية والعقلية وعلوم التفاسير والأحاديث فنّاً بعد فنٍّ إجازة صحيحة . وقد أمره أولائك المشائخ بالأمر الأكيد بالاجتهاد لهداية الخلق إلى طريق الحق وإن طلب منهم بجهده بإلقائهم هذا الثقل عن ظهره وتركهم إيّاه في قعر بيته لا يَدْري ولا يُدْرَى . وقد قال مرّة لشيخه إنّي أقول يا أستاذي لو أنك تتركني على حالي وتأخذ منّي الإجازة وتنفي بعد ذلك أملاكي وأموالي وتؤويني إلى كهف من الكهوف بحيث لا مال ولا بنون لكان ذلك أحبّ إليّ فأجاب بعد ذلك لا يجوز لك أن تترك الإرشاد ألا تعلّمهم الاستغفار المحض ومجرّد ذلك شيء عظيم .

إخواني إنّي أريد أن أكون في قعر حجرتي بغلق الباب ولا أطلب المريدين أصلاً لكنّهم لا يتركونني على حالي ظنّاً منهم أني أهل لذلك مع أنّي في اعتقادي لست بمقام مريد فضلاً في مقام شيخ ولا يكون لي بدّ من تعليمهم وتلقينهم مع ما فيّ من المخافة ولولا أنهم يعتقدونني لمّا نزلوا بساحة داري ولو لم يكن ظنّهم في الله حسناً بأن الله تعالى يدخلهم في فضله بواسطتي لمّا طلبوا منّي السلوك فبناء على ذلك ألقّنهم الاستغفار والصلوات ألفاً ألفاً في

إنّ أحدهم يرضى بكسرة وما أحسن من يرضى من الدنيا بكسرة فقال إنهم يرقصون ويتواجدون قال من فرحهم بالله تعالى . « نزهة المجالس » ٧٩ .



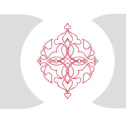
المَلَوين أو خمسمائة منهما على وفق حال المريدين وأعلّمُهم كيفية الرابطة الشريفة كما علّمني أشياخي وأتركهم على تلك الحالة مدّة شهر أو شهرين ثمّ بعد حصول الاستعداد لهم ألقّنهم الذكر القلبي بلفظة الجلالة (الله الله الله) وآمرهم بعدم غفلتهم عن تخيّل جريان هذا الذكر المبارك قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم **وأعلّمهم أنّ الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله وأحثّهم على الاستغفار عن الغفلة كما يستغفرون عن المعصية .**

فهذا أقلّ ما آمرهم به وأرشدهم إليه ومن آثر منهم الآخرة على الدنيا وأراد أن ينيب إلى الله ولازم الذكر وترك الهوى ألقّنه الذكر على اللطائف بالترتيب بعد حصول النتيجة على ما هو معلوم عند أهله فيسري ذكره في جميع أجزاء البدن ويحصل له سلطان الذكر ثمّ بعد ذلك ألقّنهم النفي والإثبات فإذا حصل لهم نتيجته أعلّمهم المراقبة ثمّ وثمّ . . إلى آخر ما نعلّمه من أمور الطريقة وذلك كلّه رجاء أن يكون الله معهم لحسن ظنّهم به تعالى واعتقادهم فيّ وفي مشائخي بأنه تعالى يوصلهم إليه بواسطتهم على ما ورد في الحديث « لَو اعْتَقَدَ أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَه » . قال الشعراني في « العهود المحمدية » وقد حثّنا الله تعالى على حسن الظنّ به بقوله « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي خَيْراً » فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمر الله تعالى وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم **فإن ظنّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم وإن ظنّوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحّ لهم حماية** فلذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كلّ آفة ومتى غفل عن ذلك جاءته الآفات

من كلّ جانب وممّا جرّبناه نحن أنّ من كان اعتقاده فينا متوفّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ومن لم يكن اعتقاده فينا متوفّراً لم تقض له حاجة ولو كنّا أقطاباً **فالمدار على حسن ظنّ المتوجّه للشيخ لا على الشيخ** وربّما تقضى حاجةُ المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلاّ إن أعلمه بها المتوجّه إليه . انتهى فراجعه في ١٣١ من هامش « لطائف المنن » ج ٢ .

وما قاله قدّس سرّه هو الذي يحصل للمرابط من المنافع والفوائد فالشيخ الفاني في الذات لو قرب إليه الشياطين يحترقون بنوره وإذا تخيّل المريد صورته يحضر روحانيته لديه أسرع من لمح البصر فيكون حضوره سبباً لانقطاع الخواطر والوساوس . فافهم .

أيها العلماء والفقهاء إن كنتم ترون فيما نفعله من هذه الأمور شيئاً ما يخالف الشريعة فنحن مترقّبون للامتثال بأوامر من ينصحنا ويدلّنا على ما خفي فينا من العيوب ونشكره وندعوه بالخير وإن ارتكب أتباعنا على المنهيّات لا نرضى على صنيعه أبداً بل ننصحه بالإشارة وباللطف لا بالعنف على وفق قوله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ وآية ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . ولكن لا طاقة لنا لامتناعه عن بعض المعاصي وذلك ليس من شروط الشيخ وما لم يصحّ لرسول الله عليه السّلام من أصحابه لا يصحّ لأحد من بعده كما ذكره الشعراني في « العهود المحمدية » بالبسط التامّ .



وقد قال النبهاني في « شواهد الحقّ بالاستغاثة بسيد الخلق » ما نصّه هذا وليس من شرط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات فالمنصف يؤدّي كلّ ذي حقّ حقّه فحقّ الشيخ وأتباعه الراشدين الثناء الجميل عليهم فيلزمنا أن نؤديه إليهم وحقّ أولائك المارقين أن ننكر عليهم ونوجِّه المذام إليهم ونبين لهم الحلال والحرام وما هو مشروع في دين الإسلام فإذا قبلوا وتابوا حصل من إنكارنا عليهم المرام وإذا أصرّوا على ضلالتهم نصر على الاعتراض عليهم ولا عتاب حينئذ ولا ملام . انتهى . في ٢٣٥ .

ومن المعلوم أن المريد المعصوم لا يكون أبداً . كما بيّنه مؤلّف « الحديقة الندية » ولا يخفى على الحقير أن حاله ناقص عن درجة المرشدين ولكن لمّا أجاز له المشائخ الكاملون لا بدّ له من امتثال أمرهم وإن كان ناقصاً لما أنهم قالوا وقد يعطي الكامل الإجازة للناقص لأنَّ يَدَهُ يَدُهُ وتربيته تربيته كما هو مذكور في غير كتاب واحد .

وفي « البهجة السنيّة » وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا قدّس سرّه بالإرشاد مع نقصان فهو جائز من الكامل المكمل . انتهى في ٤٤ .

وفي « التحفة » ولم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى . والكلام على هذا كثير .

وكتب القاضي ببلات رحمه الله ما هذا نصّه ولا يأذن لأحد في الجلوس للمشيخة إلاّ بعد الإذن له من رسول الله ﷺ . « خالدية » .

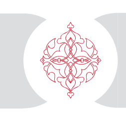
فيا عجباً على عظم هذا القول فالحمد لله على ذلك دائماً . انتهى من خطّه .

وكتب أيضاً وأما الحكايات المذكورات في رسائل القوم من أن كلّ مُسَلِّك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك ومن كونهم يعطون كلّ جليس حقّه ويعرفون من يفتح لهم على يدهم وكونهم يراعون تلميذهم وهو في الأصلاب ونظره أحوال مريده من حين كان في عالم الذّر **وأنّ من جالس ولازمه وراعى الأدب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لحظه واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ووجد تأثير ذلك في الحال إلى غير ذلك** فإنما هي حكايات الأولياء الكاملين من الرجال أصحاب الأنفاس ومرتبتهم ولكن ليس الاقتداء مختصّاً بهم كما سنذكره الآن بهذه العبارات والله أعلم .

وتخصيص هؤلاء المذكورين بذلك[١] إنما هو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصر واحد لا لنفي الاقتداء عن غيرهم إذ الجامعون بين العلمين كثيرون على أن تخصيص الاقتداء بالجامعين بين العلمين المذكورين إنما هو لبيان الأكمل إذ لا خلاف بينهم أن جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم سواء حصل السلوك قبل الجذبة أو بعدها وسواء علموا جميع علوم الشريعة المفروضة والمندوبة أم لم يعرفوا سوى فرض العين الذي لا بدّ لكلّ مكلّف منه أو لبيان من يقتدي في العلمين « الفتاوى الحديثية » .

---

[١] أي بالاقتداء .



ومثله من أن المتصدي الآن لهذا الباب على غير بصيرة من أمره إن لم يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى فهو قليل الأدب مع الله تعالى ولذلك تراه يلقّن الألف مثلا أو أكثر ولا ينتج منهم واحد كما هو مشاهد .

واعلم أنه ليس في هذا الباب الذي خشينا عليه ترك الذكر والتلقين كما توهم ذلك الضعفاء بل المراد منه أن كلّ من يفتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك وأن في ذلك هلاكه فينبغي لمن يلقن الناس الآن أن يراه ابتلاء من الله تعالى ويلقّن على سبيل التشبّه بالمتشبّهين بالمتشبّهين بالمتشبّهين (ست مرّات) . « الأنوار القدسية » ٤١ .

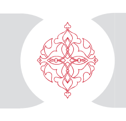
ومشائخ هذا الزمان يلقّنون كذلك بلا خلاف وإنهم أشدّ خوفاً ممّن قبلهم . . إلى آخر ما كتبه . انتهى من خطّه فجزاه الله عنّا خيراً فقد حلّ ما كان مشكلاً منذ زمان . فبناء على ما ذكر لا بدّ لنا من التصدّر لإرشاد الخلق وتعليمهم آداب الطريقة وتلقينهم أذكارها وأورادها وكيفية الرابطة وآدابها ومعلوم مشهور **أنّ ذلك ليس باختيار منّا بل بأمر وإذن من مشائخنا فما العيب علينا** وقد علم ممّا مرّ في حقّ الرابطة كونها محبوباً ومستحسناً عند العلماء وأكابر العارفين فرفع عنّا اللوم والعتاب ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة .

فائدة نفيسة غفل عنها أكثر الخلق قد مرّ ما قاله القطب الشيخ خالد قدّس سرّه ما لفظه أم يشترط مع ذلك كلّه بعض خوارق كونية . . . إلخ

فالجواب لا يشترط ذلك في الشيخ . فقد سمعت شيخنا العسلي قدّس سرّه يخبر نقلاً من كتاب يقول لا يكون الشيخ شيخاً بكشفه العرش والكرسي والسموات السبع والأرضين السبع وما فيها بل الشيخ الذي يكشف له أحوال مريده . انتهى .

وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله **الكرامة ليست بشرط الولاية ولا من علامة الأفضلية** . كما صرّح به الشيخ ابن حجر في « الخاتمة » وربّما تكون له تلك الكرامات لكنه غير مأذون بإظهارها وقد يؤذن به لكن لا يعدّه مصلحة انتهى .

نقل الخاني في « الحدائق الوردية » عن الإمام الرباني قدّس سرّه ما هذا نصّه وقال قدّس الله سرّه **اعلم** أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء والخوارق من لوازمها ولكن ما كل من كانت خوارقه أكثر يكون ولايته أتمّ وأكمل بل تكون خوارقه أقلّ وولايته أتمّ وأكمل ومدار كثرة الخوارق على شيئين وهما أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر والهبوط في وقت النزول أقلّ بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطة بها ويرى فعل المسبّب من ورائها والذي لم ينزل أو نزل ولكنّه لم يصل إلى الأسباب فنظره مقصور على مسبب الأسباب والأسباب قد ارتفعت عن نظره **والحق سبحانه يعامل كلّ أحد على حسب ظنّه** فيقضي أمر من يرى الأسباب بها ويقضي أمر من لا يرى الأسباب بدونها قال تعالى في الحديث القدسي « أَنَا



عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » ولطالما كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبد القادر ﵁ لم تظهر على يد كثير من كمل الأولياء السابقين حتى أطلعني الله تعالى على سرّ ذلك وهو أنه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء وفي جانب النزول كان نزوله إلى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب .

وممّا يناسب هذا المقام ما حكى الحسن البصري ﵁ كان واقفاً على شاطئ النهر ينتظر السفينة فجاء حبيب العجمي ﵁ فوجده واقفاً فقال له ماذا تنظر قال السفينة فقال له وأيّ حاجة إلى السفينة أما لك يقين فقال الحسن أما لك علم ثمّ مشى حبيب على الماء وبقي الحسن حتى ركب السفينة فلمّا كان الحسن نازلاً إلى عالم الأسباب عاملوه بها وحبيب لم ينزل فعاملوه بدونها **والفضل للحسن فإنه صاحب علم جَمَع بين علم اليقين وعرف الأشياء** كما هي وفي نفس الأمر جعلت القدرة مستورة خلف الحكمة وحبيب العجمي صاحب سكر وله يقين بالفاعل الحقيقي من غير أن يرى للأسباب مدخلاً وهذه الرؤية غير مطابقة لما في الواقع فإن توسُّط الأسباب كائن وحاصل .

وأما شأن التكميل والإرشاد فهو عكس طريق ظهور الخوارق فإن في مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان في الإرشاد أكمل لأنه لا بدّ من حصول المناسبة بين المرشد والمسترشد وذلك منوط بالنزول .

واعلم **أنه كلّما كان الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل** فلهذا لمّا كان ترقي نبينا عليه الصّلاة والسّلام أعلى وأرقى من ترقي جميع الأنبياء عليهم الصّلاة

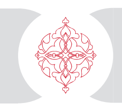


والسّلام كان نزوله أقوى من الجميع فكانت دعوته أتمّ ولذلك أرسل إلى كافة الأنام فإنه بسبب نهاية النزول حصل المناسبة بالجميع فصار طريق الإفادة فيه أتمّ **وربّما تحصل الإفادة من المتوسطين في هذا الطريق أكثر من المنتهين الذين ما رجعوا** لأن مناسبة المتوسّط للمبتدئ أكثر من ذاك فمدار كثرة الإفادة وقلّتها على الهبوط والرجوع لا على الانتهاء وعدمه .

وههنا دقيقة وهي كما أنه **ليس من شرط الولاية علم الوليّ بنفس ولايته** كما هو مشهور كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه فربّما ينقل الناس عنه خوارق شتّى وهو لا علم له بها .

وكان شيخنا قدّس سرّه يقول **والعجب** أنّ الناس يأتون إليّ من الأكناف والأطراف فبعضهم يقول رأيناك في مكّة وبعضهم يقول رأيناك في بغداد فيظهرون الصحبة والمعرفة والحال أنّي ما خرجت من بيتي فما هذا الافتراء انتهى ١٨٦ .

وممّا ينبغي أن يكتب هاهنا ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه بما هذا نصّه بعد الحمد والصلوات . . . ليعلم الأخ الأعزّ المير محبّ الله **أن الإيمان بالغيب بوجود الواجب تعالى وسائر صفاته نصيب الأنبياء وأصحابهم عليهم الصّلاة والسّلام ونصيب الأولياء الذين ثبت لهم الرجوع بالكلية** ونسبتهم نسبة الأصحاب وإن كان هؤلاء قليلين بل أقلّ ونصيب العلماء ونصيب عامة المؤمنين أيضاً والإيمان الشهودي نصيب عامة الصوفية سواء كانوا من أرباب العزلة أو من أصحاب العشرة فإن أصحاب العشرة وإن كانوا مرجوعين



لكنهم ما رجعوا بالكلية بل باطنهم مستشرف إلى الفوق ومنجذب إليه دائماً فهم بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق جلّ سلطانه فالإيمان الشهودي نصيبهم دائماً والأنبياء عليهم السلام لما كانوا مَرْجُوعين بالكلية متوجّهين ظاهراً وباطناً إلى دعوة الخلق بالحق جلّ وعلا كان الإيمان الغيبيّ نصيبهم بالضرورة وقد حقّق هذا الفقير في بعض رسائله أن التوجه نحو الفوق مع وجود الرجوع من علامة النقص وعدم الوصول إلى نهاية الأمر والرجوع بالكلية علامة الوصول إلى نهاية النهاية .

والصوفية زعموا أن الكمال إنما هو في الجمع بين التوجهين **وعدّوا الجامع بين التشبيه والتنزيه من الكمل .**

وللناس فيما يَعْشقون مذاهب

فاذا فرغ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام من وظيفة الدعوة وتوجّهوا نحو عالم البقاء وتمّت مصلحة الرجوع يكونون متوجّهين بكليتهم إلى الحق جلّ شأنه قائلين بتمام الشوق الرفيق الأعلى متبخترين في مراتب القرب . شعر

هَنِيئاً لأَرْبَـابِ النَّعِيـمِ نَعِيمُهَـا   وَلِلعَاشِـقِ المِسْـكِينِ مَـا يَتَجَـرَّعُ

والكمال عند الفقير هو أن ترتفع الكثرة[1] وقت العروج عن النظر بالكلية حتى لا تكون الأسماء والصفات أيضاً ملحوظة ولا يكون غير الأحدية المجرّدة مشهوداً ثم يعامل معه ما يعامل معه وأن يقع النظر وقت الرجوع إلى

---

[1] والمراد من الكثرة كلّ ما سوى الله .فافهم .

الكثرة ولا يكون شهوده كعامة المؤمنين غير الخلق ولا يكون شغله دائماً غيرَ أداء الطاعة ودعوةِ الخلق إلى الحق جلّ وعلا .

فإذا تمّ أمر الدعوة وودع العالم الفاني يتوجَّه بكليته إلى جناب قدسه تعالى ويحول رحله من الغيب إلى الشهادة ويبدل معاملة المراسلة بمعاملة المعانقة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

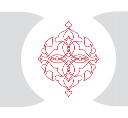
ولا يتخيلن الناقص أن الرجوع الكلي نقصٌ ولا يَزْعُمَنَّ أن التوجه بالباطن إلى الحق جلّ وعلا أفضل من التوجّه إلى الخلق لدعوتهم وتكميلهم فإن صاحب الرجوع ما جاء إلى مقام الرجوع باختيار نفسه بل نزل من أعلى إلى أسفل بإرادة الحق جلّ سلطانه ورضي لنفسه بالهجر عن الوصول فصاحب الرجوع قائم بمراد الحق جلّ شأنه وفانٍ عن مراد نفسه وصاحب التوجه محظوظ بالوصل والشهود ومسرور بالقرب والمعية .

شعر

إِذَا أَرْضَى منا قَلْبِي بعادي ... فَهَذَا الهَجْرُ أحْظَى مِنْ وِصَالِي
لأَنِّي في الوِصَال عَبْدُ نَفْسِي ... وَفِي الهُجْرَانِ مَوْلَى لِلْمَوَالِي
وَشُغْلِي بَالحَبِيبِ بكُلِّ حَالٍ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شُغْلِي بِحَالِي

وفضائل الرجوع وكمالاتُه كثيرة وصاحب التوجّه بالنسبة إلى صاحب الرجوع قطرة بالنسبة إلى البحر المحيط[1] . وهذا الرجوع من فضائل النبوة

[1] وحكي أن الشيخ أحمد التلاني حصل له الفناء ولم يفق مدة ثمانية أيام وكان وقتئذ في إستنبول فلما أفاق قال له الحاضرون إنك بقيت في الفناء في مدة ثمانية أيام فأعظم ذلك وأعجبه ثم



وذاك التوجه من آثار الولاية شتان ما بينهما ولكن لا يدرك هذا الكمال منهم كلّ أحد . ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ راجع « الدرر المكنونات » في ٢٨٤ ج١ .

فالحمد لله ثم الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه جزيلاً جميلاً فقد كان الفقير خائفاً من هذه الجهة لعدم فراغه للشغل بالله بالكلية بسبب كثرة الشغل بالخلق .

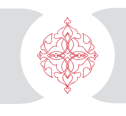
فائدة أخرى قد يظنّ الناس أن المشائخ يجب أن يكونوا يقتدرون على منع عصيان مريديهم مع أنه قد مرّ أن ذلك ليس من شرط الشيخ وأيضاً يظنُّون أن المشائخ يجب أن يكونوا معصومين من الزلل والعصيان مع أن العصمة من شرط النبوّة وذلك الظنُّ منهم إنما حصل لسماعهم أنَّ بعض الأولياء منعوا مريدهم عن الفاحشة إذا همّ بها وأمثال ذلك ممّا ذكروه في كتبهم . ولكن ينبغي أن يعلم **أن وقوع ذلك من بعض المشائخ لا يوجب أن يقع في كلّ واحد منهم .**

وفي « الإبريز » وسمعته رضي الله عنه يقول إن الذين ألَّفوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء فقد أضرّوا بهم كثيراً

اجتمع بالشيخ محمود أفندي ولعله اجتمع معه في الواقعة فقال له يا ولدي إن في الأولياء من لا يفيق عن فنائه في مدة شهر أو شهرين أو سنةٍ ومنهم من لا يتنفس في العمر إلا واحدة فهاهنا أي في محلة كذا رجل لا يتنفس في سنة إلا مرّة فذهب الشيخ أحمد لطلب ذلك الرجل فوجده كذلك وأخبر رقيبه أنه لا يفيق ولا يتنفّس في السنة إلا مرّة واحدة ثم قال له الشيخ محمود أفندي يا ولدي إن ولقوله هذا دلائل من الأحاديث هداية رجل واحد خير مِنْ أنْ يكون فانياً في جميع العمر مثله فافهم . والله أعلم . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

من حيث أنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ولم يذكروا شيئاً من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات حتى أنّ الواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة وتصرّفاً على تصرّف وكشفاً على كشف توهّم أن الوليّ لا يعجز في أمر يطلب فيه ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهراً فيقع في جهل عظيم لأنه يظنّ أن الوليّ موصوف بوصف من أوصاف الربوبية وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز ويوصف من أوصاف النبوّة وهو العصمة والأمر الأول من خصائص الربوبية ولم يعطه الله تعالى لرسله الكرام فكيف بالأولياء قال الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ وقال ﷺ « سألت ربّي عزّ وجلّ اثنين فأعْطانيهما وسألته اثنين فَمَنَعَنِيهِمَا » **قال تعالى** ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك الكريم » **فقال قد فعلتُ** ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك » فقال قد فعلتُ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك » **فقال قد سبق القضاء** ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك » **فقال سبق القضاء .**

وقال تعالى في سؤال نوح نجاةَ ابنه من الغرق ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ .



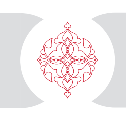
والناس اليوم إذا رأوا وليّاً دعا فلم يستجب له أو رأوا ولده على غير طريق أو امرأته لا تتقي الله قالوا ليس بوليّ إذ لو كان وليّاً لاستجاب الله دعاءه ولو كان وليّاً لأصلح أهل داره ويظنّون أن الوليّ يصلح غيره وهو لا يقدر على إصلاح نفسه قال تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ .

وأما الأمر الثاني وهو العصمة فهو من خصائص النبوة والولاية لا تزاحم النبوّة . قال رضي الله عنه **والخير الذي يظهر على يد الوليّ إنما هو من بركته** صلى الله عليه وسلم إذ الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم أما ذات الوليّ فإنها كسائر الذوات بخلاف الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام فإنهم جُبلوا على العصمة وفُطروا على معرفة الله تعالى وتقواه بحيث أنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه ولا إلى معلم يستفيدون منه والحق الساكن في ذواتهم وهو حرف النبوّة الذي طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم والطريق المستقيم قال رضي الله عنه لو أن الناس الذين ألفوا مع الكرامات قصدوا إلى شرح حال الوليّ الذي وقع التأليف فيه فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية لعلم الناس الأولياء على الحقيقة فيعلمون أن الوليّ يدعو تارة فيستجاب له وتارة لا يستجاب له ويريد الأمر فتارة يقضى وتارة لا يقضى كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصّلاة والسّلام ويريد الوليّ بأن تظهر الطاعة على جوارحه وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس وإنما امتاز الوليّ عنهم بأمر واحد وهو ما خصّه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات ومع ذلك فالمخالفة لمن ظهرت عليه إنما هي بحسب ما يظهر لنا

لا في الحقيقة لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة وتمنع من المعصية منعاً لا ينتهي إلى حدِّ العصمة حتى تزاحم الولايةُ النبوّةَ فإن المنع عن المعصية ذاتيٌّ في الأنبياء عرضيّ في الأولياء فيمكن زواله في الأولياء ولا يمكن زواله في الأنبياء وسرّه ما سبق وهو أنّ خير الأنبياء من ذواتهم وخير الأولياء من غير ذواتهم فعصمة الأنبياء ذاتية وعصمة الأولياء عرضية فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صوريّة لا حقيقية قصد بها امتحان مَنْ شاهدها واختباره ولذلك أسرار فنطلب من الله تعالى أن يوفِّقنا للإيمان بأوليائه كما وفَّقنا للإيمان بأنبيائه عليهم الصّلاة والسّلام . انتهى في ١٩٠ فراجعه .

فائدة أخرى نفيسة وبشارة عظيمة قال العالم يوسف النبهاني في كتابه « سبيل النجاة » بعد كلام كثير في الحبّ في الله والبغض في الله ولا شكّ أن قول النبي ﷺ « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » جواباً لقول القائل يا رسول الله المَرْء يحبّ قوماً ولمّا يلحق بهم وفي حديث أبي ذرّ « وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ » دليل على **أن المحبّ لقوم معهم وإن قصر عنهم في الأعمال والأحوال** ولذلك اشتدّ فرح المسلمين بذلك كما قال أنس رضي الله عنه **فما فرحنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي** ﷺ « أنت مع مَنْ أحببت » قال أنس فأنا كنت أحبّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن أكون معهم .

وروى ابن أبي الدنيا في « كتاب المحتضرين » عن عبد الرحمن بن صالح العجلي قال قال ابن السماك عند وفاته اللّهمّ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك فإني كنت أحبُّ من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك .



وجعل النجم الغزِيُّ رحمه الله محبّة الظلمة للصالحين من القبيل الأول أي من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين في غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق مع الرغبة عنها والأنفة منها والمحبة لما سواها حيث قال ومن هذا القبيل محبّة الظَلَمة والفسقة للصالحين وتقرُّبهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم وإرسال الهدايا إليهم وهم مكبّون على ظلمهم للناس وإسرافهم على أنفسهم فهؤلاء لا تنفعهم محبّة الصالحين ولا تلحق بهم . انتهى كلامه .

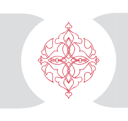
قال العارف النابلسي بعده قلت بل الإنصاف أن تجعل محبة الظلمة والفسقة للصالحين وتقرُّبَهم من المباركين من القبيل الثاني أي من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين لهم في غيره من الطاعات لكن لا على طريقة الرغبة عن أخلاقهم ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم ولهذا تقرَّبوا إليْهم وأحبُّوهم وأحبّوا طريقتهم وتبرَّكوا بهم ولو كان لهم رغبة عن أخلاقهم وأنفة عن أحوالهم لبعدوا عنهم ولم يشاكلوهم أصلاً مثل غيرهم من بقيَّة الظلمة بل ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علوّ هممهم مع الاعتراف بأنهم ظالمون لأنفسهم مسرفون عليها واقعون في الذنوب والخطايا والآثام يصرّحون بذلك بألسنتهم ويضمرونه في قلوبهم ويطلبون من الصالحين الدّعاء بتيسير التوبة والتخلّص ممّا هم واقعون فيه ولو تيسَّر للواحد منهم اللحاق بهم في وصف من الأوصاف لم يتأخَّر عن الاتصاف به وإنما عاقهم عن ذلك ميل نفوسهم مع جواذب الهوى والطبيعة وكون أمور العامة متعلقة بهم منوط بأنظارهم وهم مبتلون بكلّ ذلك جمعاً

وصرفاً كما كانت هي حالة ابن السمَّاك في حال صدور المعصية كما أخبر هو عن نفسه في وقت وفاته بقوله كما قدمناه اللّهمّ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك فإنّي كنت أحبّ من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك .

وهؤلاء كذلك في حال عصيانهم لله تعالى واعترافهم بذلك يحبّون من يطيع الله تعالى ومن يتوهَّمون أنه صالح ويتقرَّبون إليه ويتأدَّبون معه ويطلبون منه الدعاء ويهدون إليه أشرف ما عندهم وهو المال رغبة في حصول دعائهم لهم فلعلّ الله تعالى يجعله سبباً لنجاتهم في الآخرة وليس هذا الوصف في جميع الظلمة والفسقة وإنما هذا في طائفة منهم يرون قُبْح ما هم فيه من الأحوال وحسنَ ما في أهل الخير والهدى من الصلاح وهم مسلمون مؤمنون من أهل الكتاب والسنة غير أن الله تعالى ابتلاهم بنفوسهم المنهمكة في جمع حطام الدنيا وأخذ كلّ ما قدروا عليه من أموال الناس والتبسط في أنواع الشهوات فالله تعالى يتوب علينا وعليهم ويصلح أحوالنا وأحوالهم وأحوال المسلمين أجمعين . آمين . انتهى . كلام العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه . انتهى .

هذا ما تيسّر لنا جمعه ووفّقنا الله تعالى نقله فمن لم يرض بهذا القدر فعليه الرجوع إلى المطوّلات فالحمد لله أوّلاً وآخراً والصّلاة والسّلام على رسوله وآله وصحبه ليلاً ونهاراً .

اللّهمّ إنّي أسألك الثبات على حدّ الاستقامة وأن تجعلنا من جملة الهادين المهتدين لا من زمرة الضالّين المضلّين .



اللّهمّ اجعل آخر كلامنا (لا إله إلاّ الله) وآخر دعوانا (أن الحمد لله) واجعل سعينا هذا مشكوراً وعملنا مقبولاً واجعله سبباً لهداية الخلق إلى طريق السداد لا سبباً باعثاً لزيادة الحسد والعناد فإنك على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

فرغ الفقير من تأليفه في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان هذه السنة ١٣٤١ وفّقه الله تعالى لاتمام سائر مراداته وقضاء حوائجه . آمين .

يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين

تذنيب

فبعد أيام من بعد انتهاء الكتاب وصل لديّ ما كتبه العالم الفقيه الصوفي القاضي ببلات القلزمي النقشبندي رحمه الله تعالى فأحببت أن ألحقه هنا ليكون كلامه تأييداً لما نقلته شكر الله سبحانه سعيه حيث نطق بالصواب ولم يداهن وقد أظهر الحق ولم يخف من لومة لائم ولعله رحمه الله تعالى سمع ما يقوله المنكرون لأهل الطريقة والمعاندون لأرباب الرابطة القائلون بعدم وجوب المتابعة لأهل العلم من المذاهب الأربعة المدّعون بأنهم أهلٌ للاجتهاد ولهم قدرة على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة

قال رحمة الله عليه رحمة واسعة وكتب بما هذا نصه ورأيت في بعض المجاميع أن الشافعي رضي الله عنه كان يجلس لشيبان الراعي ويسأله عن مسائل فقيل له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول لهم هذا وُفّقَ لما علمناه . وكان شيبان أميّاً



وإذا كان محلّ الأمي منهم من العلم هكذا فما ظنُّك بأئمتهم **وقد كان الأئمة المجتهدون كالشافعي وغيره رضي الله عنهم يعترفون بوفور فضل علماء الباطن** . « حياة الحيوان » .

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأنّ القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفنّ غريباً مندرساً وإذا تعرّض العالم لشيء منه استغرب واستبعد . « إحياء » .

وغالب الإنكار الذي يقع بين الفقهاء والصوفية إنما هو بين القاصر من كل منهما وبين مثله وإلا فالكامل من الفقهاء يسلّم للعارفين والعارفون يسلّم للعلماء . « لطائف المنن » .

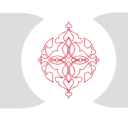
فهي أم الطرائق ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق وهي مما جرى على قبوله الوفاق وأقرّ بفضله علماء الأفاق . والآن ولله الحمد قد تقرّر الطريق وانخذل أهل الحسد والعناد والتعويق . « بهجة » .

وأمّا مشروعيّتها وتطبيقها على المذهب فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ[1] القرآن وحقيقة العرفان وفي حقّها أدلّة جملة وتفصيلاً كما سيأتي البيان . « جامع الأصول » ٣ .

وقد كان الشيخ النووي رضي الله عنه يخرج لظاهر دمشق لشيخه المراكشي رحمه الله يعرّض عليه مسائل يقف في فهمها عند نقلها فلو كان الفقراء لا يفهمون أسرار الشريعة أكثر من علماء الشريعة لما راجع النووي مع

---

[1] ولعل المنكرون لا ينكرون وعلى ما قالوه يندمون . (هامش الأصل) .



جلالته وقوة اعتقاده وصلاحه ووفور علمه شيخه المذكور في الأحكام « أنوار القدسية » .

وبالحقيقة الفقهاء هم الصوفية لو عملوا بما يعلمون فإنّ الأولياء إنما تميزوا عنهم بالعمل فأنتجهم بذلك قوّة العلم والفهم عن الله تعالى دونهم ففارقوهم به فلذلك وقع التنازع بينهم من المقصّرين . فحكمهم مع الأولياء حكم الرصاص[1] في دائرة شبكة الصياد والأولياء قانصون حبل الشبكة فإذا جذبوا الحبل انجرّ جميع الرصاص فالقاصرون من باطنهم ولا عكس وقال الله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وليس أهله إلا الأولياء والعلماء الراسخون ونحن مأمورون باتباعهم لأنهم ورثة الأنبياء وأمناء الله تعالى على أسراره فإذا قالوا شيئاً وجب علينا اتّباعه . « الأنوار القدسية »

فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلم من الله تعالى بلا واسطة وهو العلم اللدنيّ كما كان للخضر عليه السلام ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم قرب النوافل دلّ عليه ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ عن الله « ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها » . إلخ وقوله ﷺ « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل » .

---

[1] فمن لم يكفه هذا لم يكفه غيره . (منه) .



فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله ويأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى فلا يلزمه شيء بقوله أخذت العلم من الله تعالى بلا واسطة **فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح**[١] . « مكتوبات » . ويالله العجب من المتفقِّهين الذين ينكرون ما قاله الأولياء ويصدِّقون بما وصل إليهم من فقيه واحد وربما يكون إسناده في ذلك القول إلى دليل ضعيف وما ذلك والله إلا الحرمان . « مكتوبات » .

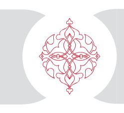
وكان رضي الله عنه يقول في قصّة موسى والخضر يعني أنّ للحقّ عباداً أقامهم لبيان المكتسبات وعباداً أقامهم لبيان الموهوبات **ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر** ولا يشاركهم فيما أقيم فيه وإن كان أحدهما نبيّاً والآخر وليّاً . « طبقات » .

إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة وأخذ العلوم المكتوبة في ألواح المعاني ففهم رموزها وعرف كنوزها وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط ولو لا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهَر العقول **وأسرارهم موضع سرّ الله** . « طبقات الشعراني » وكلّ أصناف هذه العلوم عند الأقطاب علوم إلهية ما أخذوها إلا عن الله سبحانه وتعالى . « مكتوبات » .

ونحن نتعجّب على اعتراضات المعترضين وكيف يقبل الناس كلامهمْ ولا يزجرونهم . « مكتوبات » .

---

[١] فتفكّروا في مآل إنكاركم أعاذنا الله تعالى من سوء العاقبة . (منه) .



فعُلم أنه ليس فهم كلام المتكلّم أن تعلم وجوه ما تضمَّنته تلك الكلمة بطريق الحصر بما تحوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان **إنما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه أو بعضها** فينبعي لك أن تفرق بين الفهم للكلام والفهم عن المتكلم وهو المطلوب . فالفهم عن المتكلّم ما يعلمه إلا مَنْ أنزل القرآن على قلبه وأما الفهم للكلام فهو للعامة فكلّ من فهم من العارفين عن المتكلّم فقد فهم الكلام وما كلّ من فهم الكلام فهم عن المتكلّم . « أنوار القدسية » .

بسم الله الذي يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء .

والرابطة عند الفقراء هي تخيّل صورة الشيخ لحظة ليس إلاّ **لما أنه آكد الآداب عندهم ولوكان التخيل**[1] **المذكور كفراً** كما تقولون فكيف حال من يتخيّل صورة البنات والأرامل ويكون قلبه دائماً في خيالات شتى وتصورات تَتْرَى فيلزم منه كفركم وكفر العوام فتفكروا في مآله وعاقبته وكونوا صامتين وعن اللغو معرضين ثم على الحق تابعين وعلى أنفسكم راقبين .

ومقصودهم بذلك طرد الغفلة وإبعاد وساوس الشيطان عن القلب لا غير فمن ذاق يدري ومن لا فلا .

ثم أنتم أيها المنكرون للرابطة بيّنوا لنا بطلانها ومخالفة فَاعِلِيهَا للكتاب والسنة بأدلة سمعية صريحة وعدم جواز العمل على كلام الأولياء والعارفين وكون الأئمة والمفسرين الذين أثبتوا الرابطة على ضلالة وشرك فإنا لله وإنا

---

[1] والإنكار على التصوّر تصور ، فمن يخرج من التصور والتخيّل . (هامش الأصل) .

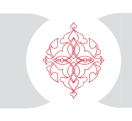
إليه راجعون كيف لا تتقون الله تعالى لتكفير هؤلاء أهل الله تعالى مع أن الأولياء تميّزوا عن غيرهم بعلوم لا يشاركهم فيها أحد كما نطق به الشعراني [قدس سره] بهذه العبارة .

وفي « لطائف المنن » هذه العبارة وقد أغلق الله تعالى باب تنزل الأحكام الشرعية بموت محمد ﷺ وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه **فالتنزُّل الروحانيُّ بالعلم بها باق لهم ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله تعالى بها** . انتهى ٥١ .

وفيه أيضاً **تفسير أهل الكشف أعلى من تفسير غيرهم** لأنّ الكشف إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها لا يتغيّر دنياً ولا أخرى بخلاف تفسير أهل الفكر والوهم .

وفي « ميزان الشعراني » والولي الكامل لا يكون مقلّداً وإنما يأخذ علمه من العين التى أخذ منها المجتهدون مذاهبهم . وفي كتاب « أنوار القدسية » وحرام على الفقيه أن يتكدّر من نصح الولي **لأنه أعلى منه فهماً في أحكام الله تعالى** ولا يتوهّم أنّ علم الأولياء وغوصهم في فهم الأحكام يتوقّف على الآلات عند غيرهم كالنحو واللغة والمعاني ونحو ذلك . فإنَّ الحق سبحانه وتعالى لا تقييد عليه فيعطي من شاء ما شاء كيف شاء فافهم . وجميع المذاهب من باطنهم . انتهى .

وفي كتاب « البهجة » إن العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية وبالنسبة إليهم كشفية وضرورية . انتهى .



وفي كتاب « الطبقات الكبرى » للشعراني وكفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة وكلّ عن مقامه يتكلّم قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي أطلعناهم على العلوم المتعلّقة بالعلويّات والسفليّات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ والرزق نوعان روحاني وجسماني وقال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يعلّمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلهية .

فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوّهم فيما يفسرونه به الكتاب والسنة أن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن لظاهر الآية والحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم . فمن المفهوم ما جلب له الآية والحديث ودلت عليه في عرف اللسان . وثَمَّ أفهام أخرى باطنة تُفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله تعالى عليه إذ قد ورد في الحديث النبوي « إنّ لكل آية ظاهراً وباطناً » **والباطن** هو المعارف الإلهية . والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن والحد فيكون طريقاً إلى الشهود الكلي الذاتي فافهم يا أخي .

ولا يصدّنّك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهم العموم من هذه الطائفة الشريفة قولُ ذي جدل ومعارضة إنّ هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسول



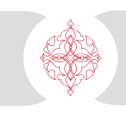
الله ﷺ . فإنه ليس بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذي قلناه وهم لم يقولوا ذلك بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى في نفوسهم ما يُفهمهم بفضله ويفتحه على قلوبهم برَحْمته ومنَّته .

ومعنى الفتح في كلام هؤلاء القوم حيث أطلقوه كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السرّ لما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة إذ الولي لا يأتي بشرع جديد وإنما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة لم يكن يعرف أحد قبله ولذلك يستغربه كلّ الاستغراب من لا إيمان له بأهل الطريق ويقول هذا لم يقله أحد على وجه الذم وكان الأولى أخذه منه على وجه الاعتقاد . « الطبقات الكبرى » .

وإنما نهى القوم عن المنازعة لأن علومهم مواجيد لا نقل فيها . ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لايجوز للسامع منازعته فيما أتى به بل يجب التصديق به . (منه)

فإن علوم القوم لا تقبل المنازعة لأنها وراثة نبويّة ونهى ﷺ عن الجدال وقال في المجادل « فليتبوّأ مقعده من النار » والله تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم . منه

والحق أن كلام أهل الحق حقّ ومقتبس من مشكاة النبوة « مكتوبات الرباني » .



والعلم اللدني[1] عند الأولياء للورثة الكاملين للنبي ﷺ وظاهر النبوة المحمدية خُتمت به **وباطنها لا يختم إلى يوم القيامة** وهو الولاية عموماً وخصوصاً قال تعالى ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وقال تعالى ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ . « سلسة الأرواح »

مقدمة في بيان أنّ طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وأنها مبنيّة على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء وبيان أنها لا تكون مذمومة **إلا إن خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير** . وأما إذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم فمن شاء فيعمل به ومن شاء تركه . وما بقي باب للإنكار إلاّ سوء الظنّ بهم وحملهم على الرياء وذلك لا يجوز شرعاً فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاًّ صَدَقَ ومن جعله من عين أحكام الشريعة صَدَقَ لكن لا يَشْرَفُ على ذوقِ أنَّ علم التصوّف تفرّعُ من عين الشريعة إلاّ مَنْ تبحّر في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية .

وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . « طبقات » .

فويل لقاصر النظَر على جرأتهم حيث ينسبون قصورهم إلى الغير .

لو عـــابهم قاصـــر طعناً بهم سـفهاً   برِأتْ ســاحتهم عـــن أفحش الكلم
هـــل يقطع الثعلب المحتال سلسلة   قيّدت بـهـــا أسـد الدنيا بـأسرهِـم

[1] والعجب من العلماء علماء الظاهر أنهم لا يقبلون علوماً معلومة بنور الفراسة والكشف الصحيح أخبر بها من عاينها وشاهدها وبلغ مرتبة اليقين بالكشف الصحيح . (منه) .

وويل لهم ألف مرة على تعصُّباتهم الباردة وأنظارهم الفاسدة يَنفون ما وراء معلومهم ويجعلون ما لم يثبت عندهم منفيّاً . « الطبقات الكبرى » . ومنه

تـركـنا الـبحـار الزاخرات وراءنا   فمـن أين يدري الناس أيـن تَوَجَّهْنَا

انتهى .

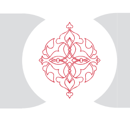
ومنه أيضاً

ولا أحـد يـصطـاد عنقاء فـاسترح   وإلاّ تـكـون حـال الـفـخ دائمـاً

انتهى . فلله درّه .

ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحّر فيه أعطاه الله تعالى هناك قوّة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدّ سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً مما لم تصرّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب وليّ الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرّح الشريعة بوجوبه .

وإيضاح ذلك أنهم كلّهم عدول في الشرع اختارهم الله تعالى لدينه فمن دقّق النظَر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة وكيف يخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وُصْلَتهم إلى الله عزّ وجلّ في كل لحظة . ولكن أصل استغراب من لا له إلمامٌ بأهل الطريق أنّ علم التصوف من عين الشريعة كونُه لم يتبحر في علم الشريعة ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى علمنا هذا مشيّد بالكتاب والسنة ردّاً على من توهّم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره . « طبقات » وقال القشيري لم يكن



عصر في مدَّة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلاّ وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبرّكوا به ولولا مزيّة وخصوصيّة للقوم لكان الأمر بالعكس .

قلت ويكفينا للقوم مدحاً إذعان الإمام الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي . كان يجلس بين يديه كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا وإذعان الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك وإذعان أبي العباس للجنيد وقد كان الإمام أبو تراب النخشي أحد رجال الطريق رضي الله عنه يقول إذا ألف العبد الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى . « طبقات الكبرى » .

هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان وإليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان . « إحياء »

كان الفتوى والعمل على الفقهاء والعارفون تبعهم قبل القرن العاشر ثم بعده فالعمل والفتوى على العارفين والفقهاء تبعهم للآية الكريمة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ولخبر ورد في المعرفة « وأعرِّفه سري الذي أسررته على خلقي » . « كنز الدرر »

ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك فهناك يطلع كشفاً ويقيناً على حضرات الأسماء الإلهية ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين .



والله تعالى يقذف في سرّ خواص عباده ما لا يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل . « إحياء »

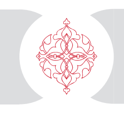
فقد أفلح المصدقون وخاب المستهزؤون . « طبقات الكبرى » .

وبغية طلبة العلم كثيراً الاعتراض على الذاكرين ويقولون الاشتغال بالعلم أفضل ولا يتأمّلون المراد من العلم ماذا وأيّ غرور فوق هذا . « أنوار القدسية » .

وتعصّبات الفقهاء على الفقراء لم تزل من عصر ذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ فأعاذنا الله تعالى من صحبة أهل الوقيعة فيهم ومجالستهم كما قال سيّدنا علي الخواص **إياك أن تصغي لقول مُنكِر على أحد من طائفة العلماء فتسقط من عين رعاية الله تعالى وتستوجب المقت من الله** . « طبقات الكبرى » فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتسليم للقوم في كلّ شيء قالوه مما لا يخالف صريح النصوص . انتهى كلام السبكي . « طبقات الشعراني » .

ويجب الإطاعة لأولياء أمة محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ لأنّ المراد من أولي الأمر في الحقيقة هم الأولياء المرشدون . « سلسلة الأرواح » .

إن كنتم لا تعملون كلام الأولياء و[تقولون] لايصحّ العمل به فلِمَ تعملون في فضائل الأعمال بقراءة أبيات كذا وكذا لنيل فضيلة كذا وكذا ذكرها في



« شرح البردة » و« شرح نظم أسماء الله الحسنى » ونحوهما وما دليلكم لذلك والحال أنّ تلكم الأبيات حادثة بعد زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ومن أخبرهم بذلك وهل نزل بهم وحي به انتهى .

ليس علم المذكورات وأمثالها إلا بإخبار الأئمة الأخيار والأولياء الأبرار وكرامات الأولياء حقٌّ صادق يجب الاعتقاد به ولا تنكروا على ما نقل عنهم . « فتاوى الچوخي »

ثم إن كنتم ولا بُدّ منكرين للأولياء والعارفين فتفكّروا في آيات الله ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء لا تتزكى أنفسهم بمجرّد تعلم العلم بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهات والممارات والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحبّ الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الأقران والأمثال ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ التزكيةَ ويتهيَّأُ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية وهم العلماء الراسخون والمشائخ المحققون كما يسلم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديماً . والمزكّي هو النبي ﷺ في أيام حياته كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه قرناً بعد قرن من الصحابة والذين اتّبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا . « روح البيان »

وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه يقول الاعتقاد إن لم ينفع ما يضر والفقيه إذا لم يكن له إلمام بطريقة القوم [وملاحظهم واصطلاحهم ومؤاخذاتهم فهو جاف] . « الأنوار القدسيّة » .



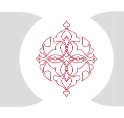
وكلمات أولياء الله تعالى مقتبسة من مشكاة الحقيقة المحمدية ﷺ فكما أن تعظيم القرآن والحديث النبوي واجب على عامة الأمة كذلك تعظيم كلام أولياء الله تعالى لازم أيضاً . « طبقات » .

فما بقي وجه الإنكار إلا على مواجيدهم وأفهامهم وتلك أمور لا تعارض شيئاً من صريح السنة والأمر في ذلك سهل **فمن شاء فليصدقّهم ويقتدي بهم كمقلدي المذاهب ومن شاء فليسكت ولا ينكر لأنهم مجتهدون في الطريق والمجتهد لا يقدح إنكاره على مجتهد آخر** . « طبقات الشعراني » . وأحوالهم من وراء النقل والعقل ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِى عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ . « أنوار القدسية » . ولا ينكر على الفقراء إلا محرّماً مجمعاً على تحريمه . « حديقة الندية » و« بغية »

فكما يقال إنّ جميع ما رواه المحدّثون بالسند الصحيح المتّصل ينتهي سنده إلى حضرة الحقّ جلّ وعلا فكذلك ينبعي أن يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة وذلك لأنّ جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة ولا شكّ عندنا في ذلك . « ميزان الشعراني » ٣٥ .

ومن تمسّك بأذيالهم أفلح وأدرك ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك . « إبريز »

فإنه ما ثَمَّ لنا دليل واضح يردّ كلام أهل الكشف أبداً لا عقلاً ولا نقلاً ولا شرعاً لأنّ الكشف لا يأتي إلا مؤيداً بالشريعة دائماً إذ هو إخبار بالأمر على ما هو عليه في نفسه وهذا هو عين الشريعة . « ميزان الشعراني » ٢٤ .



وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى أيضاً يقول لا يكمل مقام العالم عندنا في العلم حتى يردّ سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم في سائر الأَدْوار إلى الكتاب والسنة ولا يصير عنده جهل بمنزع قول واحد منها لو عرض عليه وهناك يخرج عن مقام العوام يستحقّ له التلقيب بالعالم وهو أوّل مرتبة تكون للعلماء بالله تعالى . « ميزان الشعراني » ٥٩ . **والعاميّ ليس من مرتبة الإنكار على العلماء لأنه جاهل** . « ميزان الشعراني » ٥٩ .

وكما حرّم العلماء على الرعيّة الطعن على إمامهم الأعظم إلا بدليل واضح كالشمس فكذلك يحرم على المقلّدين الاعتراض والطعن على أئمّتهم في الدين إلا بنَصٍّ واضح لايحتمل التأويل . « ميزان الشعراني » ٥١ .

معنى الرابطة

والرابطة عبارة عن المحبّة . والمحبة يربط قلب المحب بالمحبوب فيحصل الارتباط الروحاني بينهما ويستفيض الأرواح . وفي الحديث « أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله » . « فتاوى عمريّة » .

و الشيء إنما يكون شيئاً بماهيّته وليس للرابطة ماهيّة عندنا غير هذا ولا غرض لنا بها إلا هذا .

واحضر في قلبك النبيّ ﷺ وشخصه الكريم ثم قلْ السلام عليك أيها النبي .

ومطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب مشروع وكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتذكّرهم وتفكّرهم



مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ . وإذا غلب على الذاكر التفكر الغير المشروع في الله تعالى يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن منه **فهذه من جملة فوائد الرابطة** .

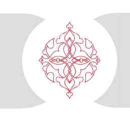
وفي الحديث « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » . وفي الحديث « كن مع الله وإن لم تكن فكن مع من كان مع الله فإنه يوصلك إلى الله إن كنت معه » . « خزينة الأسرار » .

وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغّباً فيه فكيف لا يجوز ذلك في أفضل خلق الله وأشرف الأمة محمدٍ ﷺ وخلفائه وأتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين

وكيف لا تخافون من الله تعالى أن تحكموا بأنَّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً . حسبنا الله ونعم الوكيل فقد اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً . « فتاوى عمرية »

وقد قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم وقل السلام عليك . « فتاوى عمرية »

وهو أمر لا يتصوّر جحوده إلا ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتّسم والعياذ بالله بالمقت والحرمان لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد



صرّحوا بحسنها وعظم نفعها بل واتفقوا عليها كما لا يخفى على من تتبّع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الأنسيّة وإلا فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع **فقد قال بها من كلّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً** . فالرابطة أفضل الوسائل لأنه إما النبي ﷺ وإما النائبون منابه وقال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ففيه إشارة إلى الرابطة لأن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيّله معنى وهو غرضنا من الرابطة وإلا فلا يُعدُّ اتباعاً .

وأما السنة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر الصديق ﵁ شكا للنبي ﷺ عدم انفكاكه ﷺ عنه حتى في الخلاء أي بحسب الروحانية وكان أبو بكر كرم الله وجهه يأخذه الحياء منه ﷺ . « بهجة السنية » ٤٤ .

ونسبة هذه الطائفة النقشبندية إلى الصديق الأكبر الذي هو أفضل البشر المبشَّر بالجنة وأجلسه الصحابة مكان النبيّ بعده وخلق من طينته وقُبِرَ عند قبره فإذا رموه بالكفر والضلالة فما ذا يقال لهم وكيف أجلسوا مكانه ضالاًّ ومضلاًّ وماذا أكتبُ زيادة على ذلك . رزق الله سبحانه لهؤلاء المنكرين الإنصاف حتى يكفّوا ألسنتهم عن الطعن في أكابر الدين .

ولا أقول لكم أيها المنكرون أنكم لا تعلمون ما علمنا وأنتم جهلاء منّا وليس لنا مع كل أحد من المسلمين سوء ظنّ وحقد فضلاً مع أمثالكم بل أنتم تنسبون إلينا الجهل والفجور ومقصودكم بذلك إيقاع الخصومة والاختلاف بين أتباع الشيوخ وإساءة ظنونهم في حق شيوخهم ولا عيب

عليكم إلا إفشاء هذا الاختلاف بين الخلق فانتهوا رحمكم الله عن هذا المقام لعلكم ترحمون .

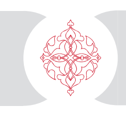
وليس غرضنا منكم ومن غيركم ومن كتبة هذه السطور إلا قطع الفتن من بين الخلق ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ ولا يخفى الضمائر والسرائر وأنتم تظهرون أقوال المنازعين الضالين قبلكم وتكتمون جوابهم من الصادقين السالفين .

وقد أدخلتم نفوسكم في زمرة المعترضين السابقين بلا باعث ولا طائل ولا تنتهون عما لا يعنيكم وتظنون أنكم تحسنون صنعاً جميلاً ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ هذا والسلام (وأنا الحقير القلزمي القاضي الضروري ببلات) .

والسنة لإثبات الرابطة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر كرم الله وجهه شكا إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه عنه في الخلاء أي بحسب الروحانية وكان يأخذه الحياء منه . « البهجة السنية »

وخبر البيهقي أنه تعالى قال ليلة الإسراء « يا محمد سل تعط » فقال « يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمتَ موسى تكليماً فقال « ألم أعطك خيراً من هذا واتخذتك حبيباً فكان قاب قوسين أو أدنى » . « فتح المبين » ١٧ .

وقال النبي ﷺ « ألا وأنا حبيب الله ولا فخر » . « فتح المبين » ١٦ .



وقال آدم يا ربّ أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي قال الله تعالى « صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذا سألتني بحق محمد قد غفرت لك » . « منح المكية »

و الله تعالى يحبّ التوابين والمتطهرين والصابرين والمحسنين والمتقين والمقسطين وما المانع لنا من حبّهم .

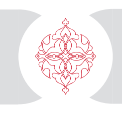
واعلم أن أفضل الأعمال وأشرفها وسيلة هو محبة نبينا محمد ﷺ فإنها سبب لكلّ خير دنيوي وأخروي وحينئذ فعليك أن تكون ممّن امتلأ قلبه بحبّ النبي ﷺ . « منح المكية » .

وقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين » وفي حديث آخر « الآن كمل إيمانك يا عمر » حيث قال عمر يا رسول الله إني أحبك من نفسي وقال ﷺ « من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله والمرء مع من أحب » . وقال ﷺ « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » وعلى المرء أن يحبّ النبيّ ويتّبعه ويتّبع أولياء الله تعالى . « روح البيان »

« كل المسلم على المسلم حرام عِرضه وماله ودمه » . « فتح المبين » وفيه أيضاً بلفظ حديث « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » أي تعاونوا وتحابوا فيما بينكم . « فتح المبين » وأما محبة الصالحين سواهم فزين في الدنيا ونور في الآخرة . « مظهر » .

والرابطة عندنا محبة الأولياء والعارفين وربط قلوبنا عليهم وتخيّل صورهم برهة قليلة كأنهم عندنا ونحن عندهم ثم محبة النبي ﷺ وربط قلوبنا عليه وتخيّله كذلك ثم النظر إلى القلوب بترك التخيل المذكور وذكر الله تعالى بالقلب بالتفكر ليس إلاّ . فبعد أن ثبت هكذا أولاً محبة الله لرسوله بإتخاذه حبيباً ومحبة الرسول لربه تعالى ثانياً بحديثه ومحبة الصديق لرسوله ثالثاً بحيث لا ينفكّ عنه حتى في الخلاء بفنائه فيه وبعد أن ثبت عن النبي ﷺ بوقوف محبة الله تعالى على محبته ووقوف كمال الإيمان على محبته بحديثه . وكذا بعد أمره ﷺ بمحبة عباد الله بقوله « وكونوا عباد الله إخوانا » أي بتعاونهم وتحابّهم فتُدخِلوا محبَّتنا هذا في البدعة المذمومة كيف تُدخِلونها فليس في رابطتنا شيء أحدثناه واخترعناه إلا هذه المحبة المذكورة التى هي أفضل الأعمال ولا بأس لنا ببدعتكم إياها ولا لنا إلا اقتداء ربّنا ورسولنا في قولنا ولا في فعلنا هذا والحمد لله على ذلك غير إن كنتم تعلمون معنى الرابطة غير هذا وكيْفيتها دونها وتدخلونها في البدعة المذمومة وتظنون أنها رابطتنا فبيّنوه لنا لا عيب عليكم فوالله العظيم لا أريد أن أكون من المبتدعين الضالين وليس لنا رابطة غير هذا وإلا فالسلامة لكم في السكوت .

وإن كنتم تطلبون لمحبة الله تعالى ورسوله والصالحين دلائل سمعية غير هذه الأدلة ولا تكتفون بهؤلاء الأدلة لاجرم تحتاجون لغيرها إلى الأدلة من الكتب الأربعة ومن يطيقها لا فائدة في الكلام معكم فماذا نقول لكم وماذا تقولون اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين واغفر لنا من تضييع



الوقت بطول الكلام بعد علم الحقيقة . ولو لم يكن لكم عناد لكنتم صامتين وعن الغيبة معرضين أو كنتم تريدون علم حقيقة الطريقة والرابطة لذهبتم لدى من في يده زمامها كما هو دأب غير المعاندين غيركم وأيّ عناد وحسد أعظم من إنكار ما نقله أهل الكشف الصحيح الذين يغترفون أقوالهم من عين الشريعة الأولى ونسبتِهم إلى ضلالة وكفر يغفر الله لي ولكم أجمعين (وأنا الحقير القلزمي القاضي الضروري ببلات) .

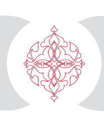
واعلم أنك عاجز عن الإحاطة بفهم كلام جنسك من البشر فكيف لا تعجز عن فهم كلام رب العالمين **فلا ينبغي أن يفسر كلام الله تعالى إلا كُمَّلُ ورثة الأنبياء عليهم الصلاة السلام المبرئين من الهوى ومتابعته** تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلّة عن الهدى وحقائقه . « أنوار القدسية » .

ونظرهم لحقائق الأمور ترى[1] . .

لا لظاهر معاني الألفاظ لأنها من العلوم الرسمية المجازية لا الحقيقية لأن العلوم عندهم ما لم يسبق إليها أحد سوى الله تعالى تدبّر ولا تعجلوا أيها العلماء المجازيون الذين ينكرون حقائق المعاني للكتاب والسنة الأصول . . إلخ . (منه) .

---

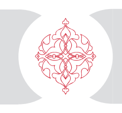
[1] للمخمّس شعيب أفندي الباكني قدس سره .



فإن كنتم مقلّدين فدليلكم قول المجتهد ليس إلا وإن كنتم مجتهدين بزعمكم وتبطلونها ولا تجيزونها وتخالفون المجتهدين الماضين فتلك رحمة للعالمين ولا يختصّ العمل باجتهادكم فما ذا حصل بإنكاركم فلستم متبحّرين فضلاً [عن] مجتهدين ولستُمْ أتقياء فضلاً [عن] أولياء بل أنتم ونحن مقلّدون بل من بينهم مقصّرون ونحن وأنتم شهود لذلك فالسلامة لنا ولكم في السكوت والخروج عن الغيبة المذمومة وإعطاء القوس إلى أربابها ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وليس علينا إلا اتباع أقوال المجتهدين والعارفين وإذا جاء الصواب ذهب الجواب . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى ما كتبه ذلك العالم الفقيه الصوفي ببلات رزقه الله الاستقامة والتوفيق آمين .

وقد كان قد ذكر هاهنا أقوال العلماء من المذاهب الأربعة في إثبات استحسان الرابطة الشريفة مع بيان الكتب لكن لما كنت بسطت الكلام من قبل لم أُكرّرْ هَاهنا فالحمد لله الذي أوْجَدَ في عصرنا هذا مثله أطال الله بَقَاءَهُ وجزاه الله عن المسلمين خيراً آمين . فهذا والسلام وأصيكم بالدعاء . اللهم ربنا لك الحمد كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله وصحبه حقّ قدره ومقداره العظيم .

وممّا كتبه ذلك العالم ببلات القلزمي أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي هذه العبارات الآتية قال رحمه الله وليس الوصول إليه تعالى بالهبوط والصعود



بل يكون العبد في التوجه إليه تعالى فانياً [١] عما سواه . « تحفة الأحباب الخالدية » .

وفلاح[٢] الدنيا هو الوصول إلى الله تعالى . « تحفة الأحباب » . ٤ . ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممّن قال الله تعالى ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[٣] . « إحياء » .

واعلم أن حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية لأن من قدر على ذلك فقد تصرف لأنّ التصرف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه وتعطيله عن الأفكار فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف[٤] حقيقة قلبه ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربّه كما قال ﷺ « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . « البهجة السنية » .

---

[١] وذلك الفناء بالرابطة وبالوقوف القلبي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من ذاق يدري ومن لا فلا وقال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

[٢] فأهل الرابطة هم المفلحون يعني أن الرابطة وسيلة الفناء في الشيخ وهي مقدمة الفناء في النبي عليه السلام والفناء فيه عليه السلام مقدّمة الفناء في الله والبقاء بالله ومن فاز بهذا فقد فاز بالوصول والمشاهدة وأفلح . فافهم . (قحي) .

[٣] وبالرابطة نجاة من الفسق يعني أن الرابطة سبب الغيبة والذهول فإذا حصل له الغيبة عما سوى الله يحصل له النجاة عن الفسق فتدبر . (قحي رحم الله إفلاسه آمين) .

[٤] وبالرابطة معرفة قلبه وحفظه ولاَزمه مذكور وثبت بهذا أن معرفة القلب بحفظ القلب عن الخواطر المتحقق بالوقوف القلبي وبمعرفته تحصل معرفة الله تدبر . (قحي) .



وحماية القلب عن وساوس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلّف وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . « إحياء » .

ومن داوم على المراقبة يحصل له دوام جمعية[١] الخاطر ودوام قبول القلوب ويقال له في اصطلاح الصوفية الجمع والقبول . « جامع الأصول »

والجمعية اجتماع الهمم في التوجّه إلى الله والاشتغال به عما سواه . « جامع الأصول »

واعلم أن المراقبة أصل كلّ خير وسعادة ونجاة ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبة نفسه على ما مضى وإصلاح[٢] وقته الحاضر . « جامع الأصول »

والحضور وسيلة إلى المراقبة . « فتاوى عمرية » . والرابطة تجرّ إلى مراقبة ربّه . « جامع الأصول »

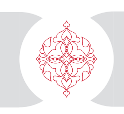
ومآل معاني القرآن كلها إلى شيئيْن[٣] حفظ آداب العبودية وتعظيم حقّ الربوبية . « جامع الأصول » .

---

[١] والرابطة عين الجمعية المذكورة يعني أن الرابطة سبب الحضور وجمعية القلب مع الله بالغيبة والذهول عما سواه تعالى فتدبر . (قحي) .

[٢] وبهذا ثبت أن تحقّق المراقبة المفسر بها بالإحسان الصادر من فم الرسول عليه السلام بتحقق الرابطة الشريفة (أي بحديث « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » . . وإلخ . « قحي ») لأنّ بها إمساك القلب عن الغفلات الذي به إصلاح وقته الحاضر ولأن الغفلة والمراقبة لا يجتمعان في القلب فطرد الغفلة بالرابطة مقدّم على مراقبة الله تعالى . (هامش الأصل) .

[٣] وكلاهما في الرابطة . (هامش الأصل) .



فكيف[١] يشرق قلب مَنْ صُوَرُ الأكوان منطبقةٌ في مرآته أم كيف يرتحل إلى الله وهو مكبّد بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهّر من جناب غفلاته « جامع الأصول »

واعلم أن مخالفة[٢] النفس ومدافعة مرادها فرض عين وجهاد عظيم وأمر فخيم قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ إلخ . وبالجملة فبمقدار أجنبيّته عن نفسه تحصل معرفته[٣] بربّه . « جامع الأصول »

وقد كان[٤] السلف يجتهدون في قطع الخلائق ورفع الشواغل والعلائق عن القلوب وفي تفرّغ القلب عن عوائقه ينتهي[٥] بفطرته إلى محبّة خالقه . « جامع الأصول » لأن التعطيل في حقّ القلب مفقود فإذا سدّ عليه طريق ما سوى الله فلا جرم يتوجّه إلى المطلوب . « رسالة »

---

[١] وقد ثبت في الوجه التاسع أن الغفلة معصية بل هو أصل الخطيئات وإذا ثبت أن الغفلة أصل الخطيئات فالرابطة المذهبة للغفلة أصل الحسنات . (هامش الأصل) .

[٢] ففي الرابطة مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

[٣] فبالرابطة معرفة الربّ لأن بها مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

[٤] فنحن على إثرهم بالرابطة . (هامش الأصل) .

[٥] وبالرابطة ينتهي القلب بفطرته الأصلية إلى محبّة خالقه لأن بها فراغ القلب عن العوائق . (هامش الأصل) .



وليس[١] **من العبادة شيء أنفع من إخلاص القلب عن الخواطر** . « جامع الأصول »

وقال تعالى ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ وعلامة السلامة من ذلك نسيان[٢] السوى فما دام له شعور بالغير فبعيد عن السلامة وقريب من الوقوع في الضيْر فمن سلّم أمره لمولاه فلا بد له من السعي حتى يتشرف بسلامة القلب والدخول في الرضوان . « جامع الأصول »

والغفلة معصية بل هو أصل الخطيئات فلا بدّ من الملاحظة[٣] **لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين** . « جامع الأصول » فإنَّ لكل وقت سهماً في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية . « جامع الأصول » ٤٣ .

وصلاح[٤] **القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين** . « جامع الأصول »

وقال الحصرمي جلسة[٥] خير من ألف حجة أراد جلسة بجمع الهمّ بوصف الشهود خير من ألف حجة بوصف الغيبة . « جامع الأصول » ١٢٤ .

---

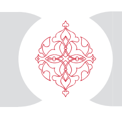
[١] فالرابطة تخلص القلب عن الخواطر وتفرغه عن العوائق وتوصله إلى المطلوب فهي مفتاح الحضور الذي هو روح العبادة والمعبر عنه بالإحسان وبها عبادة الرحمن على طريق الإحسان . (هامش الأصل) .

[٢] وبالرابطة نسيان السوى وسلامة القلب والسعي له . (هامش الأصل) .

[٣] وتلك الملاحظة بالرابطة فيا بشرى من أدى حق الله تعالى في كل الأوقات . (هامش الأصل) .

[٤] فبالرابطة صلاح القلوب . (هامش الأصل) .

[٥] وجلسة الرابطة عين هذه الجلسة . (هامش الأصل) .



فحجاب[١] النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية فحينئذ لا بدّ لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربّه أن يجرّد نفسه عن التعلّق بالقوى البَدَنيّة والتقييد بالحواس الجسمانية . « جامع الأصول » ١٥٦ .

وإذا تذكّر القلب باطلاع الربّ[٢] أناب وقال تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾[٣] « طهارة القلوب » والمجاهدة[٤] منع النفس عن المألوفات وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ وعلاج[٥] النفس هو كفّها عما تريده من النقائص والغفلات حتى لا تقع فيه وتطهيرها عما وقعت فيه حتى يزول . « جامع الأصول » ١٦٧ .

وأفضل العبادات ما يوصل[٦] إلى الله تعالى . « جامع الأصول »

---

[١] فبالرابطة رفع حجاب النفس ومعرفة النفس ومعرفة الربّ لأنها تجرد النفس عن التعلق البدنية من ذاق يدري ومن لا فلا . (هامش الأصل) .

[٢] أي إطلاعه ونظره إليه .(قحيّ) . (هامش الأصل) .

[٣] والرابطة عين الإنابة . (هامش الأصل) .

[٤] والرابطة عين الجهاد . (هامش الأصل) .

[٥] فالرابطة علاج النفس ودوائها . (هامش الأصل) .

[٦] والرابطة سبب باطن للوصول إلى الله تعالى . (هامش الأصل) .

والتقوى[1] وصية الله تعالى للأولين والآخرين لقوله تعالى ﴿لَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقّها والعناية في تحصيلها لَفِعْلٌ كبيرٌ وشأنٌ عظيم . « منهاج العابدين »

واعلم أن التقوى من أعظم أركان الدين وأجل مقامات السالكين وقد كرر الله تعالى في كتابه الكريم الوصيّة بالتقوى وهو عند أهل الحقيقة التنزُّه عما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه . وقيل هو أن يجتنب العبد عما سوى الله . « جامع الأصول » ٢٦٧ .

وأما المعرفة فهي ما قطعك عن غير الله تعالى وردّك إلى الله . « جامع الأصول » ٥١٢ **وغاية المعرفة** دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . (منه) .

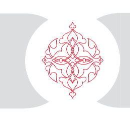
وحق **التوكل** صرف القلب عن كل شيء سوى الله .

وحقيقة الزهد فراغ القلب عما سوى الله تعالى . **وحقيقة الورع** إمساك العين عن التلذذ بالزهرات والنفس عن الشهوات والقلب عن الغفلات . « جامع الأصول » ٥٤٦ .

والمعرفة إنما تحصل بكشف حجاب النفس عن مرآة القلب وتصفيته . « طفل المعاني » ومن كان على مكارم الأخلاق كان على شرع من ربّه . « الأنوارالقدسية » **فالرابطة** عين المذكورات في الآيات وغيرها كلّها من

---

[1] ففي الرابطة حفظ وصية الله تعالى والمجاهدة في طلبها يعني إن حفظ العبد عما يخالف أمر الله تعالى وخَوْفه واتقاءَهُ عن سخطه عز وجلّ يكون بتوجه القلب إلى الله تعالى ومحبته إياه تعالى وكلها نتيجة الرابطة وهي وسيلة إليها فصارتْ أمر الرابطة شأناً عظيماً وفعلاً كبيراً فافهم . (قحي رحم الله إفلاسه) .



التوكل والتبتّل والمراقبة والمعرفة والتوكل والزهد والورع وكذا عين الحذر والفرار إلى الله وعين التوبة وقتل النفس والاصطبار وعين المجاهدة التي هي مقدمة الهداية وهل يجب ذكرها في القرآن والحديث صريحاً مع دخولها في الآيات المذكورات المأمورات بها واتحادها معها في مرادها ومع « من سنّ سنة » الحديث وأجاز عليه السلام استنان ما هو حسن وجعل فيه الأجر وحق أن يقال في المجادلين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ ﴿ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبمشاهدة الله تعالى دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى ضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي « إحياء » .

ولا بدَّ للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه وإلا فيكون سَيِّءَ الأدب يحجب ولايؤذن له في حضور المجلس والثبوت بالحضرة . « منهاج العابدين »

والحاصل أن قطع القلب عن العلائق المألوفة وقطع النفس عن العادات الراسخة لأَمْرٌ عظيم وعلاج شديد وحمل ثقيل فلذلك يفرّ عنه الطباع ولا يقبلها .



وقال هل تدري ما علاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بحقائق المشاهدة علاجه أربعة[١] . . إلخ . « جامع الأصول »

وصفاء القلب أن يصفي قلبه من الكدورات البشرية مثل الغفلات التي تحصل في القلب والخشية لا تكون إلا بعد انتباه القلب من نوم الغفلة وتصقيله[٢] . « طفل المعاني » .

وتصفية القلوب مأمور بها[٣] **بالأدلة الأربعة** . « فتاوى عمرية » . من أعظم أبواب الفتح يقظة العبد من غفلته . « طبقات » . ففي الرابطة مشاهدة الله تعالى وامتثال لقوله ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ ﴾ . . إلخ . وخروج من الشرك الخفي ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ .

وإذا صحّحت الرابطة وكملت تخرب خواطر القلوب وغفلاتها وتجردها عن التعلق بما دون الحق سبحانه وتعالى كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا ﴾ الآية . فبالرابطة حفظ القلوب من الخواطر فصارت سبباً لحفظ أدب الله تعالى وواجباً وجوب **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** .

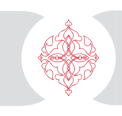
قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ فوجب علينا حفظ أدبه ظاهراً وباطناً فالأدب الظاهر بحفظ الجوارح عن المعاصي والآثام والأدب الباطن بحفظ قلبك من خطور الأغيار سواء كان خيراً أو شرّاً فإنَّهُمَا في الحجاب سواء . « بهجة السنية » .

---

[١] فالرابطة علاج المشاهدة . (هامش الأصل) .

[٢] فبالرابطة رقة القلب وصفوته والخشية فالرابطة باب عظيم من أبواب الفتح (هامش الأصل) .

[٣] فالرابطة مأمور بها لأن بها تصفية القلوب (هامش الأصل) .



وقال تعالى « أنا جليس من ذكرني » [(١)] يعني ذكرني على وجه الأدب والحضور ولا يصل إلى حضرة الله تعالى إلا من صحبه الأدب والمراد منه انكشاف الحجب للعبد كأنّه بين يدي ربّه جل وعلا وهو يراه ومطلع عليه . فمتى أدام العبد هذا الشهود فهو جليس الله تعالى في حضرته الخاصة . « أدب المرضية »

وأما مهمّات المريد فأمور عشرة العاشر عمارة القلب بما يحييه بدلاً عن نقيضه وله أربعة[(٢)] أسباب **أولها** ذكر غربتك في الدنيا **وثانيها** ذكر مصرعه عند الموت . **وثالثها** ذكر وحشة القبر . **ورابعها** ذكر وقوفه بين يدي الله تعالى . فإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وإياكم وترّهات الباطلين الذين يئيّسونكم من الله ويعوّجون عليكم طريقكم فما هي إلا الفرائض المشهورة تؤدى والمحرمات المعلومة تترك والسنن المأثورة تتبع ومحبة الأولياء تؤخذ . « جامع الأصول » ١٦ .

وحصون القلب من الشر أربعة ارتباط القلب مع الله وبغض الدنيا وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرّم الله وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله .
« جامع الأصول »

---

(١) فأهل الرابطة جلساء الله تعالى يعني أن الرابطة وسيلة الحضور وذكر القلب وقد قال تعالى « أنا جليس من ذكرني » فافهم . (قحي)

(٢) والرابطة عندنا عمارة قلوبنا بالأربعة المذكورة ومحبة الأولياء ثم ربط القلب مع الله لا غير . (هامش الأصل) .



وأصل[١] **الدين التوقي من الشرّ** . « إحياء » .

وأهل[٢] **الله** فهم قوم جذبهم الله عن الشر وأصوله واستعملهم بالخير وفروعه وفتح إليهم سبل المناجات والهدايات وهداهم السبيل إليه فسلكوه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ « جامع الأصول » ٤٦ .

وأما الشفاعة[٣] فاعلم أنّ الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوة فتنبسط جوهر النبوة إلى الأنبياء والأولياء وتندفع الأنوار من الأنبياء والأولياء إلى الخلق . « جامع الأصول »

وأما الشرك[٤] **بالله** قال اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ وقال عليه السلام « اشفعوا تؤجروا في حقٍّ بحقٍّ » . « جامع الأصول » **ماء القدس**[٥] هو العلم الذي يطهّر النفس من دنس الطباع ونجس الرذائل . « جامع الأصول »

---

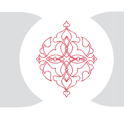
[١] فالرابطة أصل الدين وحصن القلب بارتباطه مع الله .

[٢] فأهل الرابطة أهل الله . (هامش الأصل) .

[٣] ورأس مالنا كلّه بالرابطة الشفاعة المذكورة ونحن نُحقها ولا نبطلها .

[٤] ونحن نعلم الشرك المذكور ولا نتخذه ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ .

[٥] وهذا أليق الأسماء بالرابطة وإنما سمّيت بذلك . فطوبى لمن شرب منه ودام ولم يقطع عنه . ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ .



وقال ذو النون **الصحبة**[١] **مع الله بالمرافقة ومع الخلق بالمناصحة ومع النفس بالمخالفة ومع الشيطان بالعداوة** . « جامع الأصول » ١٤٨ . والصحبة[٢] مع الله فريضة . « طبقات » .

والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق[٣] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ « وكل مُيَسّرٌ لما خُلِقَ له » فلا ينبغي لأحد أن يعترض على أحد فيما هو منسوب إلى الحق . « الأنوار القدسية »

والغاية القصوى من سرّ الإيجاد إنما هو التحقّق بكمال الإيمان والإسلام المعبّر عنه بحقّ اليقين المحقّق لدوام العبودية على طريق الاستهلاك « جامع الأصول » ١٧٦ .

فأهل الرابطة في خوف من الله ونظَر إلى نفوسهم وحذر منها وفي فرار إلى الله تعالى وتوبة إليه تعالى وقتل في نفوسهم واصطبار بالعبادة بالرابطة والمراقبة على ما أمرهم الله تعالى في الآيات المذكورات . فهل يستوي من عمي قلبه عن طريق الرجوع إلى مولاه ومن وُفّق فأبصر الطريق وسلكه

---

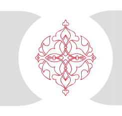
[١] فبالرابطة صحبته مع الله ومخالفة النفس وعداوة مع الشيطان ومن يطيق . .

[٢] وكل ما يتوقف عليه فرض فهو فرض فالرابطة فريضة . وحكم الرابطة في الدين كالدهن في اللبن وكالماء للسمك . هذا آخر الكلام في حقها ولا يطاق بكتبتها الأقلام . فهل بقي بعد علم المذكورات كلها إشكال مّا على ثبوت الرابطة في ديننا المتين وعلى كونه من مهمات المسلمين لحصن قلوبهم من الشرّ وارتباطها مع الله كلاّ لا ينكر ذلك إلا من عدم عقله أو غلب عليه هواه وجهله . ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ .

[٣] والرابطة طريقة من الطرق إلى الله تعالى وفي ضمن دوام الحضور معنى دوام العبودية ففي الرابطة دوام العبودية .



وهل يستوي الغافل والذاكر وهل يستوي من هو مع نفسه ومن هو مع الله وهل يستوي الإعراض والإقبال وهل يستوي الهجران والوصال وهل يستوي الأعمى والبصير وهل يستوي الظلمات والنور فامنن علينا يا ربنا باشتغال القلب عن كل شيء دونك واغفرلنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيا ندامة من أنفق أيامه في ذكر لَيْلَى وسُعْدَى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ويا خجلة من نظر إليه مولاه وقد أعرض عن المراقبة ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فسبحان من بيده الهدى والضلال . (ببلات القلزمي) .



كيفيّة الرابطة

وإن أردتم بيان كيفية الرابطة التي يتوسّل بها الصوفية إلى الله تعالى فأوّلاً يقول **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** متوجهاً إلى القبلة على طهارة كاملة طاهرة ثم يتوجَّه إلى طهارة باطنة أي إلى تطهير الباطن بإتيان الشهادتين ثم الاستغفار خمسة عشر ويقرأ سورة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاثاً والمعوذتين مرة ويهدي ثواب مثل المذكورات إلى روح النبي ﷺ وأهله وأصحابه أوّلاً ثم إلى أرواح مشائخ النقشبندية كلها ويدعو إلى الله تعالى بقبول توبته وبإيصال بركاتهم وفيوضاتهم ثم تفكّر الموت والقبر والقيامة وأهوالها كأنه مات وكفّن ودفن وليس له ملجأ من الله إلا إليه مغمضاً عينيه متذلّلاً بين يديه على مقتضى قوله « موتوا قبل أن تموتوا » و« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » و« عُدَّ نفسك من أهل القبور »

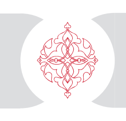
ثم ربط القلب بمرشد الرابطة وسلسلته ورسوله كأنه حاضر في مجلسهم وناظر إليه برهة قليلة على مقتضى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ جسماً إن أمكن أو روحاً إن لم يمكن على وجه المحبة الكاملة ويلاحظ انصباب الفيض من الله إلى قلب الرسول عليه السلام ومنه إلى السلسلة ومنها إلى قلب أستاذه في الرابطة ومنه إلى قلبه ثم ينظر إلى القلب بنفي الخواطر كلها وربطه بالله تعالى كأنه ناظر إليه على مقتضى « كأنك تراه » ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وكأنّ القلب ينطق بلسان القلب بلفظ اسم الذات (الله) ويستمرّ على ذلك فانياً في الله وناسياً سواه حسب الطاقة ويقول في آخرها **إلهي أنت مقصودي ورضاك**

مطلوبي انتهى كيفيتها . وقد قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي ليعرفونِ .

والمعرفة ما قطعك عن غير الله ودوام مناجاته في السرّ . وغاية المعرفة دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . والمعرفة فعل القلب والتبتُّل إلى الله بانقطاعه عما سوى الله بالتوجه إليه والمراقبة والحضور معه في أيّ حال كان قال عليه السلام « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل » .

والعبودية لله تعالى ثابت على العبد دائماً غير مختصّ بوقت دون وقت ولكل وقت سهم في العبودية يقتضيه الحقّ منك بحكم الربوبية فلا بدّ لك من الملاحظة لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين بردّ الجوارح كلّها إلى ما خلق له وخاصة بردّ قلبه إلى الله تعالى الذي هو ملك الأعضاء كلّها فرابطتنا هكذا ورأس مالنا بالرابطة ربط قلوبنا آخراً على الله تعالى كما ذكر في الترتيب وتعمير أوقاتنا كذلك بإصلاح قلوبنا وتطهيرها عن الخواطر .

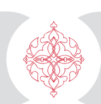
وأفضل العبادات ما يوصل إلى الله وبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفة ربّه وأهل الرابطة يفعلونها دائماً حسب طاقتهم ليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة وهي « أن تعبد ربك كأنّك تراه » إلخ . فمن ظفر في هذه الرابطة خللاً مّا للدين فَلْيُصْلِحْهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وإن ظنوا أنهم من المصلحين وكذا بيّن لكم مقصود الطائفة العلية من الرابطة وما يقولونه في ثمراتها هو طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب وإبعاد وساوس الشيطان عنه وجمع القلب مع الله تعالى والحضور معه وكذا يقولون أن روحانية الكاملين



منبع الفيوضات فمن أدخل المنبع في قلبه ينال الفيض البتة وتتصرف فينا الروحانية وتفيض علينا من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية وتبلغنا إلى الحضرات العلية وببركة صحبتهم توصلنا إلى صحبة الله تعالى وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وأن طريقتهم طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حبّاً مَنْ ذاق يدري ومن لا فلا .

وإذا لم تر الهلال فسلّم لأناس رأوْه بالأبصار غير إنْ لم يكونوا صادقين في الواقع فيما يقولونه هذا ولم ينتفع لنا بالرابطة كما يقولون . فما المانع من الرابطة المحضة على الكيفية المذكورة بيّنوا لنا ذلك . ثم اعلموا أنّ هذه الرابطة إنما يحتاج إليها السالك قبل أن يقدر على ربط القلب بالله تعالى بلا واسطة الرابطة هذه فإذا قدر عليه تسقط الرابطة ويشتغل بربط القلب على الله تعالى بلا واسطة وهذه معلوم ومشهور لدى أهل الرابطة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . (ببلات) فتدبره .





فهرس